٨٧

ملف المستقبل

نصف آلى



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـ الرعب ..

بدأت تلك الليلة ، من ليالى الشتاء ، فى القرن الحادى والعشرين ، هادئة ساكنة دافئة ، بعد انحسار موجة شديدة البرودة ، استغرقت أكثر من أسبوعين متتاليين ، وتألقت النجوم كمصابيح صغيرة ، فى سماء مظلمة ، تمتد إلى ما لا نهاية ، وارتسمت على شفتى أحد الحراس الثلاثة ابتسامة منتشية ، وهو يقول لزميليه ، اللذين يشاركانه حراسة مخزن الإليكترونيات الحديث ، المقام على مشارف (القاهرة الجديدة) :

ـ يالها من ليلة رائعة ، لم ننعم بمثلها منذ وقت طويل !

وافقه أحد زميليه بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. الشتاء يزداد برودة فى كل عام ، حتى أننا كدنا نعتاد مشهد الجليد المتساقط فى أواخر ديسمبر .

غمغم الثالث :

ـ هذا يحدث منذ ثلاث سنوات .

عاد الأول يقول بابتسامة عريضة :

ـ ولكنني أشعر بالارتياح والهدوء ، في هذه الليلة بالذات ، وينتابني شعور بأنها ستكون أفضل ليالي الشتاء على الإطلاق .

مط الثاني شفتيه ، وقال :

ـ كنت أتمنى أن أشاركك هذا الشعور ، ولكنني أشعر في أعماقي بقلق مبهم ، لست أدري كنهه .

قال الثالث في دهشة :

ـ لست أرى مبررًا لهذا القلق .. كل شيء يبدو هادئًا ، جميلاً .. و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يعتدل على نحو مفاجئ ، ويحدق في شيء ما ، مما جعل زميليه يعتدلان بدوريهما ، وتسري في عروقهما موجة من التوتر العنيف ، والأوّل يهتف :

ـ ماذا هناك ؟.. لماذا فعلت هذا ؟

ارتجفت شفتا الرجل ، وهو يقول :

ـ هناك .. لقد رأيت .. رأيت ..

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يشير إلى شيء ما ، وسط المنطقة غير الممهّدة ، إلى يسار المبنى ، فتطلّع زميلاه إلى حيث يشير في حيرة ، وتمتم الأوّل :

ـ ماذا هناك ؟.. لست أرى شيئًا .

ارتجفت الكلمات على شفتي الرجل ، وهو يقول :

ـ ولكنه كان هناك .. لقد رأيته بنفسي ، قبل أن يختفي وسط الظلام .

سأله الثاني في توتر :

ـ وما هذا الذي رأيته بالضبط ؟

ارتبك الرجل ، وبدا حائرًا مضطربًا ، وهو يجيب :

ـ إنه رجل .. نعم .. الأرجح أنه كذلك .. لقد ظهر بغتة ، ثم اختفى .. بالتأكيد .. هذا ما حدث ..

تطلّع إليه زميلاه في حيرة ، ثم نقلا بصرهما إلى حيث يشير ، وتضاعفت حيرتهما أكثر ، مع رؤية المكان الساكن الخالي ، وتردّد أحدهما لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ربما كان مجرّد ظل ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ، لأنها لم تبد له مقنعة كما ينبغي ، إذ أن الإضاءة الخافتة للمكان لم تكن تصلح لإلقاء أية ظلال خادعة ، إلى هذا الحد ، لذا فقد أكمل الرجل عبارته بتنهيدة قوية ، قبل أن يلتقط مصباحه اليدوي ، مستطردًا :

ـ حسنًا .. سأذهب لإلقاء نظرة .

هتف به زميله ، الذي رأى ذلك الشخص الغامض :

ـ خذ مسدسك الليزري .

ابتسم ابتسامة بسيطة ، وقال :

ـ اطمئن .. إننى أحمله دائمًا .

واتجه نحو الباب الخارجى ، وفتحه وخرج إلى المنطقة المقفرة ، المحيطة بالمبنى ، وسمع زميله يقول فى توتر :

ـ سنراقبك بالراصد .

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ لا بأس .

كان واثقًا من أن ما رآه زميله لا يتجاوز كونه وهمًا ، أو خيالًا داكنًا ، لذا فلم يشعر بأى قلق أو اضطراب ، وهو يتجه نحو الأطلال القريبة ، التى لم تمتدّ إليها يد العمران بعد ، وأطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا للحن قديم ، من ألحان ما قبل الغزو (*) ، محاولًا بث مزيد من الطمأنينة إلى نفسه ، حتى بلغ الأطلال ، فأطلق ضوء مصباحه اليدوى فيها ، وأدار عينيه فى المكان لحظة ، ثم ابتسم مغمغمًا :

ـ كل شىء هادئ وساكن .

ثم رفع جهاز اللاسلكى الصغير إلى فمه ، وقال مبتسمًا :

ـ كل شىء على ما يرام .. كان مجرّد وهم .

انعقد حاجبا زميله داخل المبنى ، وهو يراقبه على شاشة الراصد ، ويقول محتجًا :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ـ ولكننى رأيته بكل وضوح .. لم أكن واهمًا .

حرّك الآخر مصباحه فى المكان ، وبدت له الجدران المتهدمة أشبه بلوحة مخيفة ، بما يلقيه مصباحه من ظلال حولها ، وبما يحيط بها من بقايا الأحجار ، وعاد يكرّر :

ـ كل شىء على ما ير ...

انحبست الكلمة فى حلقه ، عندما سقط فجأة ذلك الظل على الجدار ..

كان ظلًا بشريًا ، لشخص يقف ساكنًا جامدًا ، ولكن الشخص نفسه لم يكن هناك .. الظلّ البشرى يمتدّ من الفراغ ..

من لا شىء ..

وانتفض جسد الحارس فى عنف ، وتراجع فى رعب هائل ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية عنيفة ، جعلت زميله فى المبنى يسأله فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا لديك ؟

حدّق الرجل فى الأطلال ، حيث اختفى الظل تمامًا ، وقال مرتجفًا :

ـ لست أدرى .. خيّل إلىّ أننى رأيته .. رأيت ذلك الـ ... لا ... لا ... مستحيل !

تبادل زميلاه نظرة بالقلق ، ثم قال أحدهما فى انفعال :

- عد يا رجل .. عد بسرعة .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال فى لهجة لم يزايلها التوتر بعد :

- لا .. لا تقلقا .. إنه مجرّد ظل بسيط ، ولكن يبدو أن التوتر والقلق صوّراه لى بصورة مخيفة .. لا تقلقا .

قالها وهو يحرّك مصباحه مرة أخرى فى المكان بحذر .. ثم انتفض مرة أخرى ..

وفى هذه المرة كانت انتفاضة أشبه بانتفاضة شخص صعقه تيار كهربى قوى مباغت ..

لقد أسقط ضوء المصباح ذلك الظل مرة أخرى ..

ظل الشبح الخفى ..

وفى هذه المرة لم يكن الشبح ساكنًا أو جامدًا ..

بل كان يتحرّك ..

يتحرّك نحوه مباشرة ..

وصرخ الرجل :

- لا .. لا .. مستحيل .. ابتعد عنى .

ومع تراجعه العنيف ، سقط المصباح أرضًا ، وسمع رفيقاه صوت تهشم المصباح ، عبر مسماع اللاسلكى ، مقترنًا بصرخة رعب هائلة ، أطلقها زميلهما ، وهو يصرخ فى فزع رهيب :

- لا .. لا .. اتركنى .. النجدة .

وانبعث من جهاز الاتصال فرقعة مخيفة ، نقلها جهاز اللاسلكى ، قبل أن يسود الصمت التام ، وتنقل شاشة الراصد صورة أطلال مظلمة ساكنة ..

ولثوان ، ظل الحارسان يحدقان فى شاشة الراصد برعب وذهول ، قبل أن يقول أحدهما مرتجفًا :

- ماذا حدث ؟

حدّق الثانى فى وجهه ، ثم أمسك مسماع الاتصال ، وهتف :

- أين أنت يا رجل ؟ أجب .. ماذا حدث ؟

جاوبه صمت مطبق تام ، فسرت فى جسده قشعريرة ، ونقل بصره إلى الباب الزجاجى ، محاولاً اختراق حجب الظلام بعينيه ، ورؤية ما يحدث داخل الأطلال المظلمة ، وما عجزت شاشة الراصد عن نقله ، فى حين هتف زميله :

- لقد قتله ذلك الشىء .. قتله ما نجهل طبيعته .

تجمّد الثانى لحظة فى هلع ، قبل أن يتمتم فى رعب :

- أطلق الإنذار .. اتصل بالقيادة .. هيا .. هناك شىء غير عادى يحدث حولنا .

سأله زميله مرتجفًا :

- أطلق الإنذار ؟!.. هل ترى أن الأمر يستحق هذا ؟ أنت

تعرف التعليمات .. هذا الإنذار لا يستخدم إلا عند الضرورة القصوى ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، تهشم فجأة الباب الزجاجى للمبنى ، واندفع عبره جسد بشرى ، ارتطم بالأرضية ، وتدحرج فى عنف ، حتى استقرّ عند قدمى الحارسين ..

وتراجع الاثنان فى رعب ..

لقد كانت جثة زميلهما ..

وكان وجهه يشف عما لقيه قبيل مصرعه ..

عينان جاحظتان ، وأسنان مكسورة ، وعنق محطم ..

ودلائل رعب تملأ الوجه والملامح ..

وفى ارتياع تام ، هتف أحد الحارسين :

ـ ماذا يحدث ؟ .. ماذا يحيط بنا ؟

صرخ الثانى فى هلع :

ـ أطلق الإنذار يارجل .. أطلق قبل فوات الأوان ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهارت الضلفة الزجاجية الثانية للباب ، وانطلقت صرخة هلع وذعر من الحارسين ، عندما وقع بصرهما على ذلك الذى اخترق الباب ..

كان شخصًا آليًا ، له تكوين شبه بشرى ، ووجه معدنى جامد مخيف ..

وكان يتحرّك نحوهما فى سرعة ..

وانتزع أحدهما مسدسه الليزرى من حزامه ، وهو يصرخ بزميله :

ـ أطلق الإنذار يارجل .. أطلقه بسرعة .

وأطلق هو أشعة مسدسه على صدر الآلى ورأسه وقدميه ، ولكن الأشعة ارتطمت بالجسد المعدنى القوى ، ثم ارتدت عنه فى قوة ، وانعكست فى كل الاتجاهات ، فى حين لم يتوقف الآلى لحظة واحدة ، وإنما واصل اندفاعه نحو الحارس ، وأطبق بأصابعه المعدنية القوية على عنقه ، ثم رفعه إلى أعلى ، وهو يتطلّع إليه فى برود آلى مخيف ..

واتسعت عينا الحارس فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى عينى الآلى ..

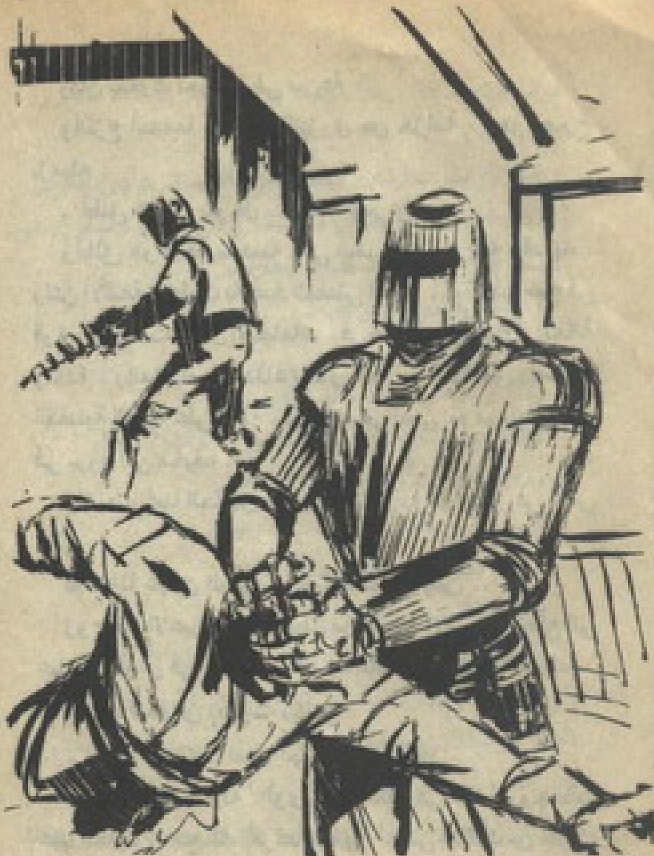
لم تكونا عينين آليتين ، وإنما كانتا بشريتين ..

زوج من الأعين البشرية يطلّ من الجسد الآلى ، ويتطلّع إلى عينى الحارس فى مزيج من البرود الصارم والحزم المخيف ..

وهتف الحارس بصوت مختنق :

ـ ولكن .. ولكنك لست آليًا .. إنك .. إنك ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، لوى الآلى عنقه فى عنف ، وجحظت عينا الحارس ، مع تلك الفرقعة العنيفة ، التى انطلقت من فقراته العنقية ، قبل أن يسقط رأسه على صدره جثة هامدة ..



وقبل أن يتمّ عبارته ، لوى الآلى عنقه فى عنف ، وجحظت عينا الحارس ، مع القرقعة العنيفة ، التى انطلقت من فقراته العنقية ..

وفى رعب لا مثيل له ، تراجع الحارس المتبقى ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا .. الرحمة .

ثم أطلق لساقيه العنان ، وانطلق يعدو بكل سرعته وقوته ، نحو حجرة الأمن ، التى تحوى جهاز الإنذار الخاص ، ولكن الآلى تحرّك خلفه فى سرعة مدهشة ، ولحق به عند زر الإنذار ، فقفز الحارس نحو الزر ، صائحًا :

ـ الرحمة .. الرحمة .

وضغط سبّابته زر الإنذار ، فى نفس اللحظة التى جذبه فيها الآلى من شعره فى قوة وقسوة ، ثم ضمّ قبضته اليسرى ، ولوح بها فى وجهه ، فاختلط صوت الحارس بصفارة الإنذار ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .

ولكن القبضة الآلية الرهيبة هوت على جمجمته ، وشجّتها فى عنف ، وتفجّرت منها الدماء فى قوة ..

وفى هدوء آلى بارد ، ألقى الآلى جثة الحارس الثالث ، وتجاوزها فى لامبالاة عجيبة ، على الرغم من صوت الإنذار ، الذى يدوى فى المكان ، واتجه نحو المخزن ، وانتزع رتاجه الأليكترونى بجذبة واحدة من موضعه ، ثم دفع بابه ، ووقف يطل على المخزون الأليكترونى الحديث ، وعلى شاشة الرؤية داخله ،

تراصت مجموعة جديدة من تعليمات التشغيل ، التى اعتاد طاعتها دون مناقشة ..

تعليمات تصف ما ينبغى عليه أن يفعله ..

وما تنبغى سرقته من مخزون الإليكترونيات ..

ومن الثروة ..

ثروة (مصر) الحديثة .

* * *



٢ ـ استدعاء ..

أطلقت (نشوى) ، ابنة (نور) ،و (سلوى) ضحكة مرحة عذبة ، وهى تصب بعضا من عصير الفاكهة الطازج فى كوبها ، وتهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (محمود) .. كم يسعدنى أن شفيت بسرعة من إصاباتك السابقة .. لقد كنت بطلًا بالفعل .(*)

تضرّج وجه (محمود) بحمرة الخجل ، وعدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يقول فى حرج :

ـ ليس إلى هذا الحد .

قال (نور) بابتسامة هادئة :

ـ ولكن هذا صحيح بالفعل ياصديقى .. لقد كنت هذه المرة قويًا ، جسورًا ، جريئًا ، وهذه هى صفات البطولة الحقة ، لو أضفنا إليها الإيمان ، والعمل للخير وحده .

ازداد تورّد وجه (محمود) ، وهو يتمتم :

ـ فى هذه الحالة تستحق أنت لقب (بطل الأبطال) يا (نور) .

اندفع (رمزى) يقول :

(*) راجع قصة (الإمبراطور) ... المغامرة رقم (٧٦) .

- هذا صحيح ، وكذلك (أكرم) ، الذى ..

بتر عبارته بغتة فى حرج ، وهو يتطلع فى ارتباك إلى (مشيرة) ، التى قفز الحزن إلى وجهها ، فور سماعها اسم (أكرم) ، وأشاحت بوجهها فى مرارة ، فقال (رمزى) :

- معذرة .. لم أكن ...

مرة أخرى لم يستطع إكمال عبارته ، وران على المكان صمت ثقيل ، يهدد بإفساد الموقف كله ، لولا أن أسرع (نور) يسأل (مشيرة) فى هدوء :

- كيف حال (أكرم) الآن يا (مشيرة) ؟

تنهدت فى حرارة ، قبل أن تجيب :

- ما يزال غارقًا فى غيبوبة عميقة ، لا يعتقد معظم الأطباء أنه سيغادرها أبدًا .

قال (رمزى) فى سرعة :

- لا أحد يمكنه قول هذا ، فحالات الغيبوبة المماثلة لا قواعد ثابتة لها ، فالمصاب بها قد يقضى نصف عمره فى غيبوبة عميقة ، ثم يستيقظ فجأة ، ويستعيد حيويته كلها .

قالت (سلوى) فى حماس :

- هذا صحيح .. لقد قرأت عن حالة مماثلة ، فى مقال طبى قديمًا .

أومأت (مشيرة) برأسها ، وقالت :

- أنا أيضًا قرأت ذلك المقال .

فتح (رمزى) فمه ، وهم بقول شىء ما ، لولا أن خفتت أضواء ردهة منزل (نور) لحظة ، ثم عادت تتألق من جديد ، فقال (محمود) :

- يبدو أنه يوجد خلل ما ، فى جهاز الإنارة .

ولكن (نور) هبَّ من مقعده ، وتألقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. يوجد خلل ما ، يحتاج إلى التحرك فى سرعة .

ثم اندفع نحو باب المنزل مستطردًا :

- معذرة يا رفاق .. أنا مضطر للانصراف .. لا تدعوا هذا يقلقكم .. إنه منزلكم .

تابعوه فى دهشة ، وهو يعبر حديقة المنزل الصغيرة فى خطوات أقرب إلى الركض ، ثم يقفز داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها مسرعًا ، فهتف (رمزى) :

- رباه !!.. أيعنى هذا أن خفوت الأضواء ..

قاطعته (سلوى) بابتسامة ذات مغزى خاص ، وهى تكمل عبارته :

- هى الإشارة الخاصة باستدعاء (نور) ، إلى إدارة

المخابرات العلمية .. تماما مثل الأيام الخوالي يارفاق ..

وتألقت عيناها وهي تستطرد :

ـ أيام الفريق .

وكان لعبارتها في أعماقهم وقع قوي ..

وعظيم ..

* * *

نفس الشعور كانت تفيض به أعماق (نور) ، وهو ينطلق بسيارته لتلبية ذلك النداء ..

الشعور بأن كل شيء قد عاد إلى سابق عهده ..

لقد ولت أيام الغزو ، وانتهى أثرها ..

انتهى إلى الأبد ..

وفي حماس ، ضغط زر الكمبيوتر الصغير ، الملحق بالسيارة ، وقرأ على شاشته التعليمات الجديدة ..

كان عليه أن يتجه على الفور إلى مخزن الإليكترونيات الرئيسي ..

ولقد فعل ..

ولم تمض دقائق خمس ، حتى كان قد قطع (القاهرة الجديدة) كلها ، عبر الطريق الدائري الخاص ، وبلغ المخزن ..

وهناك كانت الصورة أكثر وضوحا ..

أكثر من عشر سيارات ، تحمل كلها شعار الشرطة ، كانت تقف أمام المبنى ، مع سيارة إسعاف حديثة ، وسيارة تحمل اسم إدارة الأبحاث الخاصة ، التابعة للمخابرات العلمية ..

وأوقف (نور) سيارته أمام المبنى ، وسط حشد السيارات الأخرى ، وقفز منها مبرزًا بطاقته الخاصة ، حتى رأى أمامه الدكتور (ناظم) ، مدير إدارة الأبحاث ، الذي استقبله بوجه شاحب مضطرب ، وهو يقول :

ـ يسعدني أنك وصلت بسرعة يا (نور) .. يبدو أننا نواجه شيئًا مخيفًا ، من تلك الأشياء التي اعتدت أنت مواجهتها .

سأله (نور) في قلق :

ـ أي شيء مخيف هذا ياسيدي ؟

أجابه الرجل ، وهو يجفف جبهته بمنديله في توتر :

ـ أنت تعلم أننا نسعى جاهدين ، منذ انتهى الاحتلال ، إلى استعادة قدراتنا وكفاءتنا العلمية ، بعد أن حطم الغزاة كل آثار الحضارة في العالم(*) ، وهذا ليس بالأمر الهين أو اليسير ، وفي سبيل بلوغ هذا ، انخرطت دول العالم كلها في سباق رهيب ، على الرغم من ضعف الإمكانات الشديد ، في العالم الجديد ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وعندما بدأنا فى إنتاج الإلكترونيات من جديد ، لم تكن كميتها تكفى لطرحها للبيع للجميع ؛ لذا فقد صدر ذلك القانون ، بقصر استخدام الإليكترونيات على العلماء والمستشفيات وإدارات الخدمات العامة ، وأجهزة الأمن ، حتى يتم التوسع فى إنتاجها ، ويفيد بها الشعب كله فيما بعد .. ولكن يبدو أن أحدهم كان يخالفنا هذا الرأى ، فاقتحم المخزن ، وسرق بعض القطع الإليكترونية شديدة الندرة .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ بعض ؟!.. أتعنى أنه لم يسرق محتويات المخزن كلها ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل انتقى بعضها فحسب ، ومن أقسام مختلفة ، وكأنما يسعى لصنع شيء ما بالتحديد ..

بدا الاهتمام أكثر على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا لم يحاول حرّاس المخزن منعه ؟.. أعلم أنهم ثلاثة فحسب ، ولكنهم يمتلكون أسلحة كافية ، لصد أى هجوم مسلّح .

زفر الدكتور (ناظم) فى توتر ، وقال :

ـ لقد حاولوا .

سرت قشعريرة فى جسد (نور) ، مع تلك اللهجة التى نطق بها الدكتور (ناظم) كلمته ، وقال فى توتر :

ـ وماذا أصابهم ؟

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وهو يهز رأسه فى أسى ، فغمغم (نور) :

ـ لقد فهمت .

عاد الدكتور (ناظم) يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لا .. لم تفهم ياولدى. إنه لم يقتلهم فحسب .. لقد حطم أعناقهم على نحو بشع ، كما لو كان يستخدم كلابتين من الفولاذ لذلك .

هتف (نور) :

ـ يا إلهى !.. إلى هذا الحد !

قاده الدكتور (ناظم) إلى الداخل ، وصوت بوق سيارة الإسعاف ينطلق ، وهى تبتعد عن المبنى ، والدكتور (ناظم) يقول :

ـ لقد استدعينا الدكتور (محمد حجازى) من منزله ، وها هى ذى سيارة الإسعاف تنقل إليه جثث الرجال الثلاثة ، ليخبرنا ما أصابهم بالتحديد ، وكيف قتلهم ذلك الآلى .

انتفض جسد (نور) ، وهو يهتف :

- آلى ؟!

التفت إليه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- ألم أخبرك بهذا ؟

قال (نور) فى توتر :

- كلا ياسيدى .. إنك لم تخبرنى هذا قط .

هزّ الرجل رأسه ، مغمغمًا :

- كيف نسيت هذا ؟

ثم أشار إلى شاشة الراصد ، وهو يقول :

- من حسن الحظ أن نظم الأمن تحتم الاحتفاظ بشريط مسجّل ، لكل ما تلتقطه هذه الشاشة ، فمنها عرفنا طبيعة المهاجم ، وقوته العجيبة ، و ...

هتف (نور) :

- قوته العجيبة ؟!.. يبدو أنه هناك الكثير ، مما لم تبلغنى به يادكتور (ناظم) .

أومأ الرجل برأسه فى توتر ، وهو يقول :

- نعم .. يبدو هذا ، ولكن الأفضل أن تشاهد معى ما سجلته شاشة الراصد .

ضغط أزرار التشغيل ، وجلس إلى جوار (نور) ، يشاهدان الشريط المسجّل فى صمت وانتباه كاملين ..

وراح قلب (نور) يخفق فى عنف ، وهو يتابع ما يحدث .. كان من الواضح أن هذا الآلى خارق للمألوف .. ورهيب ..

ومن المؤسف أن شاشة الراصد لم تنقل سوى أحداث مصرع الحارس الأوّل فحسب ، مما جعل المعلومات محدودة ، لا تشير إلا إلى قوة الآلى وقسوته فحسب ، وتابع (نور) كل هذا مرتين متتاليتين ، قبل أن يسأله الدكتور (ناظم) فى صوت خافت مختنق :

- هل كوّنت فكرة واضحة ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس بصورة كاملة .

ثم نهض مستطردًا :

- ينبغى أن يشاهد الفريق كله هذا الشريط معى .

لوّح الدكتور (ناظم) بكفه ، قائلاً :

- فليكن .. أنا أيضًا أفضّل هذا .

قال (نور) ، وهو يلتقط شريط التسجيل الصغير ، ويدسّه فى جيب سترته :

- هل كوّنتم أنتم فى الإدارة فكرة واضحة ، عن الجهة التى ينتمى إليها هذا الآلى الرهيب ؟

أجابه (ناظم) فى توتر :

- ليس بعد ، ولكن الانطباع الأوّلى مخيف للغاية .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما هو ؟!

تطلّع الرجل إلى عينيه لحظات ، ثم قال بصوت مرتجف :

- هو أننا نواجه جاسوسًا آليًا .

هتف (نور) :

- جاسوس ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- كل شىء يشير إلى هذا .. هجومه على مخزن الإليكترونيات ، وقدراته العجيبة ، ووجوده فى حد ذاته .. كل هذا يشير إلى جهة تمتلك معرفة تكنولوجية ، جيّدة ، وإمكانات لا قبل بها إلا للدول ، وليس للأفراد .

ثم ربّت على كتف (نور) ، مستطردًا :

- صدقنى يا ولدى ، حادث الهجوم على مخزن الإليكترونيات ، إنما يعنى بداية حرب من نوع جديد .. حرب السيطرة على مصادر القوة ، والبحث عن وسائل جديدة للنمو ، وتدمير قدرات الدول الأخرى فى هذا المجال .. إنها حرب التكنولوجيا يا فتى .. وفى العالم الجديد ستكون هذه حربًا بلا هوادة .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

- وبلا رحمة .

٣ - البحث ..

«جاسوس آلى ؟! ...»

نطقت (سلوى) العبارة فى دهشة شديدة ، وهى تحدّق فى وجه (نور) ، قبل أن تستطرد :

- وهل بدأت أعمال التجسّس العلمى ، فى العالم الجديد ؟

قال (نور) فى حسم :

- إنه ليس رأيى يا (سلوى) ، وإنما هو رأى الدكتور (ناظم) .

سأله (محمود) :

- وهل تشاركه هذا الرأى ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مطلقًا .

هتفت (نشوى) :

- ولكننا شاهدنا ذلك الشريط معك يا أبى ، وما رأيناه يعد أمرًا خارقًا للغاية بالفعل .. أرأيت كيف اختفى ذلك الآلى وسط الأطلال ؟!.. ليس من المنطقى أن يصنع شخص ، مهما بلغ من العبقرية والذكاء ، رجلا آليًا كهذا ، مع النقص الشديد فى الإليكترونيات .. هذا عمل دولة .

غمغم (رمزى) بصوت متوتر :

ـ أو غزاة من الفضاء .

شهقت (سلوى) للعبارة ، وتراجعت (نشوى) فى انزعاج ، فى حين عقد (محمود) حاجبيه فى شدة ، وتطلع (نور) إلى (رمزى) فى هدوء ، وهو يقول فى بساطة :

ـ هذا احتمال وارد .

صاحت (نشوى) :

ـ لا .. لن أحتمل هذا مرة ثانية .

تطلع إليها (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ قلت إنه مجرد احتمال .

ثم اعتدل مستطردا فى حزم :

ـ ومع كل الاحتمالات ، يمكننى أن أجزم بأن هذا ليس عملا من أعمال التجسس العلمى حتما .

سأله (رمزى) :

ـ ولما تجزم بهذا ؟

أجابه (رمزى) :

ـ واقع الحادث نفسه هو الذى يفرض هذا ، فذلك الآلى لم يسرق من المخزن سوى ما يحتاج إليه فحسب ، على الرغم من

قتله ثلاثة من الحراس ، ولم يحاول سرقة الجزء المتبقى ، أو تدميره ، وهذا لا يتفق مع الجاسوسية العلمية .

هتف (محمود) ، متحمسا لرأى (نور) :

ـ هذا صحيح ، فلو أن هذا الجاسوس الآلى ينتمى لدولة أخرى ، لسرق محتويات المخزن كلها ، أو دمرها عن آخرها ، حتى يحرمنا خطوة ضخمة فى طريق الحضارة والتطور .

كان الرأى مقنعا للغاية ، فقالت (نشوى) :

ـ من صنعه إذن ؟

أجابها (نور) :

ـ التوصل إلى هذا يحتاج إلى دراسة شريط التسجيل مرة أخرى ، لمعرفة قدرات الآلى الحقيقية ، وكيفية استخدامه لقوته .

قال (رمزى) :

ـ لا بأس يا (نور) .. سنشاهد الشريط مرة أخرى ، فقد يوصلنا هذا إلى حقيقة الآلى ، لنعلم ما إذا كان صنيعة أرضية ، أم ..

صمت لحظة ، ثم أردف مرتجفا :

ـ أو طليعة غزو جديد .

وانتفضت القلوب ..

* * *

لم يكن آذان الفجر قد انطلق بعد ، عندما تثاءبت (مشيرة) فى إرهاق ، وقالت لمدير شبكة الفيديو ، فى مبنى الصحيفة المرئية ، وهى تدعك عينيها فى تهالك :

- أظن أن شبكة البث قد اكتملت هكذا ، ويمكننا البدء فى تقديم مقالات ومواضيع الصحيفة إلى المشاهدين ، اعتبارًا من اليوم .

وافقها المدير بإيماءة من رأسه ، وقال :

- سنبدأ البث التجريبى بعد أربع ساعات بالتحديد .

هتفت متهالكة :

- يا إلهى !.. ستبدو عيناى منتفختين .

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

- إنك تبدين رائعة فى كل الأحوال .

أنعشتها العبارة ، على الرغم من إرهاقها ، فاعتدلت قائلة :

- حقًا ؟

ثم انتابها الخجل ، فاستدركت فى سرعة :

- أعنى أننى أعلم هذا بالتأكيد .

أطلق الرجل ضحكة أخرى ، وقال :

- أنت تعلمين كل شىء ، حتى الـ...

قاطعته فجأة صيحة انطلقت من جهاز اتصال داخلى ، تحمل صوت حارس أمن المبنى ، وهو يصرخ :

- هجوم على المبنى .. النجدة .

قفزت (مشيرة) من مقعدها ، هاتفة فى ذهول :

- هجوم ؟!

ثم ضغطت زر تشغيل شاشة الأمن ، وتراجعت كالمصعوقة ..

لقد نقلت إليها الشاشة صورة شخص آلى ، يقتحم مدخل المبنى فى برود مخيف ، ويتجه نحو حارس الأمن ، الذى انتزع مسدسه ، وراح يصرخ فى وجه الآلى :

- قف .. قف وإلا أطلقت الأشعة عليك .

قالها وأردف قوله بالفعل ، فضغط زناد مسدسه ، وانطلقت الأشعة نحو صدر الآلى ، ثم ارتدت فى عنف ، فى نفس اللحظة التى طوّح فيها الآلى يده ، ولطم الحارس فى قوة رهيبة ، انتزعت المسكين من مكانه ، وضربت به الحائط ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، فصرخت (مشيرة) ، التى رأت المشهد على الشاشة :

- يا إلهى !.. إنه يهاجمنا بحق .

تجمّد المدير فى مكانه ، وهو يقول ذاهلًا :

- مستحيل !.. إنه آلى .. مجرّد آلى .

صرخت (مشيرة) ، وهى تقفز نحو هاتف الفيديو :

- إنه فى طريقه إلى هنا .. سيقتحم الحجرة بعد لحظة واحدة ..



حاولت أن تضغط أزرار رقم هاتف (نور)، ولكن الآلي اقتحم الحجرة، مسقطًا بابها في عنف ..

حاولت أن تضغط أزرار رقم هاتف (نور)، ولكن الآلى اقتحم الحجرة، مسقطًا بابها فى عنف، فأطلقت صرخة أخرى، والتصقت بالحائط، فى حين صاح المدير فى ذعر :

ـ ماذا تفعل هنا ؟.. ابتعد .. ابتعد .

ولكن الآلى ضربه بكفه ضربة رهيبة، تفجّرت لها الدماء من فكه، وارتطم بمقعد مكتبه، وسقط معه أرضًا فى دوى شديد، فى حين استدار الآلى إلى (مشيرة)، واتجه نحوها مباشرة، بخطواته الثقيلة المخيفة، فصرخت فى شدة ..

أطلقت صرخة، وثانية، وثالثة ..

ثم تجمّدت الصرخة الرابعة فى حلقها، وهى تحدق فى عينى الآلى ..

وفى بطء مخيف، رفع الآلى أصابعه المعدنية، ومدها نحو عنقها، فاختنق صوتها وهى تقول :

ـ لا .. لا تفعل هذا .. لا .

ثم انطلقت تلك الصرخة الحبيسة فى صدرها، عندما لامست أصابعه المعدنية الباردة عنقها، وهوت ..

هوت فاقدة الوعى، عند قدمى الآلى ..

وتوقف عندها الزمن ..

* * *

التقى حاجبا (نشوى) ، وهى تسند كفيها على منضدة الكمبيوتر ، وتريح رأسها فوقهما ، مغمغمة فى مزيج من الحيرة والتوتر والإجهاد :

ـ يا له من شىء عجيب !

تثاءب (محمود) فى إرهاق ، وهو يقول :

ـ هذا الآلى يمتلك خاصية عجيبة .. أرأيتم كيف اختفى تمامًا ، بعد مصرع الحارس ، وكيف كان مختفيًا وسط الأطلال ؟

اعتدل (نور) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ إنه لم يختف .

قالت (سلوى) محتجة :

ـ كيف تقول هذا يا (نور) ؟.. لقد رأيت كيف ظهر فجأة ، وباغت الحارس بهجوم غير متوقع .

أشار (نور) بسبابته ، قائلًا :

ـ ولكن جسده كان يلقى ظلًا واضحًا ، عندما سقط عليه ضوء المصباح ، ولو أنه اختفى فعليًا لتجاوزه شعاع الضوء ، واخترقه ، دون أن يسقط أية ظلال واضحة ، أو غير واضحة .

سأله (رمزى) :

ـ ما تفسيرك لما رأيناه إذن ؟

رفع كفه ، وهم بإجابة السؤال ، عندما خفتت الأضواء بغتة ، فقفز من مقعده ، وهو يقول :

ـ لا .. ليس ثانية .

واندفع مغادرًا المكان كالصاروخ ، وقالت (سلوى) فى تعاطف ، بعد أن أغلق الباب خلفه :

ـ مسكين (نور) .. إنه لا ينعم بوقته أبدًا .

غمغم (رمزى) :

ـ إنها طبيعة عمله .

ثم أضاف فى اهتمام :

ـ وأظن أنه من الأفضل أن نقوم نحن أيضًا بعملنا ، ونحاول كشف سر هذا الآلى ، قبل عودة (نور) .

رفعت (نشوى) رأسها ، ولوّحت بكفها ، قائلة :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟

سألها (رمزى) :

ـ أخبرينى أولًا .. إلى أى مدى يمكنك تكبير صورة شريط التسجيل ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ إلى أى مدى تريد .. فقط انتخب الجزء الذى تريد تكبيره .

أشار إلى الشاشة ، وهو يقول :

ـ أريد تكبير جزء من الأطلال ، فى النقطة التى بدأ منها ذلك الظل ، الذى سقط على الجدار .

بدأت فى القيام بالعمل ، وهى تسأله :

ـ ما الذى تتوقعه ؟

أجابها وهو يتابع عملية التكبير فى اهتمام :

- ظلال أخرى .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- أية ظلال ؟

عاد يشير إلى الشاشة ، مجيبا :

- دعونا لا نسبق الأحداث .. سترون جميعًا ما أقصده ، لو أن له وجودا .

انتظروا جميعًا فى لهفة ، و (نشوى) تعمل على تكبير الجزء الذى اختاره (رمزى) ، إلى أكبر حد ممكن ، حتى سمعوها تهتف :

- يا إلهى !.. كنت على حق يا (رمزى) .

انحنى (رمزى) يتطلع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، ثم اعتدل قائلا فى ارتياح :

- عظيم .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- ما هذا العظيم ؟.. لست أفهم شيئًا .

أسرعت (نشوى) تشير إلى ظل رأسى واضح ، ينبت من نفس النقطة ، التى نبت منها الظل الأصلى ، وهى تقول فى حماس :

- ألا ترين يا أماه ؟.. هذا الظل يعنى أن خصمنا ليس خفيًا .

وارتسمت على شفتى (رمزى) علامة ارتياح ، وهو يقول :

- ويعنى أيضًا أننا كشفنا السر يا رفاق .

وتحولت هذه اللمحة إلى ابتسامة واضحة ، وهو يستطرد :

- سر الجاسوس الآلى ..

★ ★ ★

٤ ـ انهيار ..

امتزج الحنق بالأسى ، فى أعماق (نور) ، وهو يراقب رجال الإسعاف ، الذين حملوا حارس مبنى (أنباء الفيديو) ومديره ، وتنهد الدكتور (ناظم) إلى جواره ، وهو يقول فى أسف مرير :

- ذلك الآلى ازداد جرأة ، قبل مضى عشر ساعات على ضربته الأولى .. لقد اقتحم المبنى هذه المرة على نحو مباغت ، بعد أن أفسد أجهزة الأمن والإنذار بموجة كهرومغناطيسية عنيفة .

تمتم (نور) :

- ولكنه لم يقتل أحدا هذه المرة .

وافقه الدكتور (ناظم) ، قائلا :

- هذا صحيح ، ولكنه أصاب الحارس بارتجاج شديد فى المخ ، وحطم فك مدير الشبكة ، وأصيبت الصحفية (مشيرة محفوظ) بانهيار عصبى شديد .

سأله (نور) فى اهتمام :

- هل رأته (مشيرة) ؟

أجابه الرجل :

- لم يتم استجوابها بعد ، والطبيب يمنعنا من هذا ، ولكن الأرجح أنها رأته ، وإلا فما الذى أصابها بالانهيار ؟!

قال (نور) :

- ربما حاول قتلها .

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- لست أظن هذا ، فلو شاء قتلها لفعل .

سأله (نور) :

- وما الذى سرقه هذه المرة ؟

ضرب الدكتور (ناظم) كفًا بكف ، وهو يقول :

- هذا هو أغرب جزء ، فى القصة كلها .. لقد سرق ست دوائر تليفزيونية مغلقة ، وجهازى رؤية ليلية ، ومصباحًا للأشعة دون الحمراء .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- وترك الأشياء الأخرى .. أليس كذلك ؟

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. وهذا ما يثير حيرتنا فى شدة .

شرد بصر (نور) لحظات ، ثم قال فى حزم :

- إنه يزيد من تسليح جسده الآلى .

هتف الدكتور (ناظم) :

- يزيد ماذا ؟!

أجابه (نور) :

- يضاعف أسلحته يا دكتور (ناظم) .. ألم تنتبه إلى أنه قد استخدم سلاح الشوشرة الإليكترونية هذه المرة ، فى حين لم يستخدمه فى المرة السابقة ؟.

سأله الرجل فى اضطراب :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) فى حسم :

- لقد استخدم الإليكترونيات ، التى سرقها من المخزن ، فى صنع جهاز الشوشرة ، وربما يستخدم ما سرقه من هنا ، لتطوير أجهزة مراقبة ، أو سلاح جديد .. من يدرى ؟

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

- هذا يعنى أن قوته ستتضاعف ، مع كل جريمة يرتكبها ، وستأتى فترة نعجز فيها عن مواجهته .

قال (نور) فى ضيق :

- ليس إلى هذا الحد .

ثم اعتدل واستطرد :

- لقد أدركنا على الأقل ما يفعله ، فى الفترة الحالية ، ويمكننا

أن نستنتج ما يمكن أن يقدم عليه ، فى العملية التالية ، لو أننا وضعنا أنفسنا فى موضعه .

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :

- (نور) .. إنك تتحدث كما لو أن هذا الآلى يقود نفسه بنفسه .

قال (نور) :

- إنما كنت أقصد من يحركونه ياسيدى .. أنت تعلم أنه من المستحيل أن يقود أى شخص آلى نفسه على هذا النحو ، ويخطط الجرائم بهذه الدقة .

نطقها على الرغم من ذلك الاعتراض العنيف ، الذى تفجّر فى أعماقه ..

اعتراض يقلق عقله ..

وقلبه ..

* * *

امتلأت نفس (سلوى) بتوتر لا مثيل له ، وهى تتطلّع طويلاً إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

- إذن فذلك الآلى لا يختفى ، كما كنا نتصوّر ، وإلا ما ألقى الضوء ظلاً لقدمه نفسها ، على الجانب غير المعرّض للضوء منها .. إنه موجود ، على الرغم من عجز الأعين عن رؤيته .. عجبًا !!.. كيف أمكنه هذا ؟

أجابتها (نشوى) :

- بخاصية المحاكاة .. إنه يمتلك القدرة على التشبّه بالبيئة المحيطة به ، تمامًا كما تفعل (الحرباء)(*) ، ولكن بدقة أكبر ، يستحيل معها تفرقته عن الوسط المحيط به .

قال (محمود) فى توتر :

- هذا يرجّح كونه مخلوقًا من كوكب آخر .

التقت نظرات (سلوى) و (نشوى) فى خوف ، قبل أن تقول (سلوى) :

- أو يمتلك سلاحًا حديثًا .

قال (رمزى) مستنكرًا :

- وكيف يمكنه امتلاك سلاح كهذا ، فى هذا الزمن ؟

فجّر السؤال مخاوف الجميع مرة أخرى ، وبقى معلقًا فى فضاء الدهشة بلا جواب ..

أو راحة ..

* * *

هزّ الطبيب رأسه فى رفض ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه (نور) ، قائلاً فى حزم :

(*) الحرباء : زاحفة صغيرة بطيئة الحركة ، تعيش على الأشجار فى (أفريقيا) وجنوب (آسيا) ، وتمتلك القدرة على تغيير لون جلدها ، لمحاكاة البيئة المحيطة بها ، تبعًا لشعورها بالخطر ، وحدة الضوء ، ودرجة حرارة الوسط .

- لا أيها الرائد .. لا يمكننى السماح لك باستجواب (مشيرة) الآن .. المسكينة أصابتها صدمة عصبية عنيفة ، والاستجواب لن يناسبها الآن .

قال (نور) محاولاً إقناعه :

- إنه ليس استجوابًا فعليًا فى الواقع ياسيدى ، فـ(مشيرة) صديقة قديمة ، وكل ما أطلبه هو التحدث إليها قليلاً ، فهى الوحيدة التى رأت ذلك الآلى ، وبقيت على قيد الحياة ، وبحالة تسمح لها بوصفه ، وهذا الآلى يتحرك بسرعة كبيرة ، وينتقل من هدف إلى هدف دون تردد أو إبطاء ، والانتظار يفيده أكثر مما يفيدنا ، فقوته تتضاعف مع كل مرة .

قال الطبيب :

- إننى أقدر كل هذا ، ولكن مسئوليتى كطبيب تحتم على الحفاظ على صحة (مشيرة) ، مهما كانت الأسباب .

قال (نور) فى غضب :

- وماذا عن الأرواح الأخرى ، التى قد يزهقها ذلك الآلى ، ما لم توقفه قبل الضربة القادمة ؟

قال الطبيب فى عناد :

- هذا مجرد احتمال ، أما صحة (مشيرة) ، فهى أمر واقع .

هتف (نور) فى حدة :

- وماذا لو تجاوزت رأيك هذا ، والتقيت بـ(مشيرة) ؟

أجابه الطبيب غاضبًا :

- القانون يمنعك من فعل هذا أيها الرائد ، وأنا أحذرك ، فلو تجاوزت هذا الباب ، سأبلغ الـ ....

قاطعه صوت (مشيرة) من خلفه ، وهى تقول :

- لا داعى يا سيادة الطبيب .. سأتحدث إلى (نور) .

تنهد (نور) ، وهو يقول :

- أشكرك .

أما الطبيب ، فاعترض قائلاً :

- لا يا (مشيرة) .. صحتك لا تسمح بـ....

قاطعته مرة أخرى فى عصبية :

- ولكن القانون يمنحنى حق الاختيار .. أليس كذلك ؟

انعقد حاجباه فى غضب ، وقال :

- بلى .

ثم اندفع منصرفًا فى عصبية ، فمررت (مشيرة) أصابعها فى شعرها بحركة متوترة ، وهى تقول :

- حسنًا يا (نور) .. ما الذى ترغب فى معرفته ؟

أجابها فى لهفة :

- كل شىء .. كل شىء يا (مشيرة) .

قالت فى عصبية :

ـ وما هذا الـ(كل شىء) ؟.. لقد هاجمنا ذلك الشخص ، وأصاب الحارس والمدير ، وفقدت أنا الوعى أمامه ، عندما حاول خنقى بهذه الأصابع المعدنية الباردة المخيفة .. هذا كل ما يمكننى منحك إياه .

قدّر حالتها النفسية ، وهو يتجاوز عصبيتها ، ويسألها فى هدوء :

ـ ولكنك رأيته يا (مشيرة) .. أليس كذلك ؟

مرّرت أصابعها مرة أخرى فى شعرها ، بمزيد من العصبية والتوتر ، وهى تقول :

ـ قلت لك : إنه حاول قتلى .

قال فى اهتمام :

ـ صفيه لى إذن .

تطلّعت إليه لحظة فى توتر ، ثم قالت :

ـ لقد نقلت شاشة الأمن صورته بالتأكيد ، ويمكنك الرجوع إليها ، فهذا أفضل .

قال فى صبر :

ـ ولكنك رأيته عن قرب ، ويمكنك أن تضيفى إلى معلوماتنا ما قد يفيد ، فأنت تتميزين بدقة الملاحظة وسرعة البديهة .

تجمّعت فى عينيها دمعة كبيرة ، وهى تتطلّع إليه فى صمت ، ثم لم تلبث أن قالت فى صوت متحشرج مختنق :

ـ ما الذى تنتظر معرفته بالضبط ؟

قال :

ـ هذا يتوقف على ما لديك .

انهمرت تلك الدمعة الكبيرة من عينيها ، وتبعتها دموع أخرى غزيرة ، وهى تقول :

ـ لا يا (نور) .. لن تجد عندى أبدًا ما يفيدك .

ثم انفجرت فجأة :

ـ اتركنى يا (نور) .. اتركنى أرجوك .

وتحوّل بكاؤها إلى شلال متدفق من الدموع ، أغرق وجهها كله ، وهى تواصل صراخها :

ـ اتركنى يا (نور) .. أرجوك .

تراجع (نور) فى دهشة ، فى حين عاد الطبيب مسرعًا ، على صوت صرخات (مشيرة) ، وهو يهتف :

ـ ألم أحذرك يا فتى ؟!

تجمّد (نور) فى مكانه ، وهو يراقب (مشيرة) فى حيرة ، فى حين أسرع الطبيب يحقنها بمادة مهدئة ، وهو يستطرد غاضبًا :

ـ هذا دأبكم يا رجال الأمن .. لا يشغلكم سوى ربح قضاياكم ، حتى ولو ضحيتم بنصف العالم من أجل هذا .



وتحوّل بكاؤها إلى شلال متدفق من الدموع ، أغرق وجهها كله ، وهي تواصل صراخها : — اتركني يا (نور) .. أرجوك ..

قال (نور) في حيرة :

ـ ولكنها كانت تتحدث على نحو عادى ، حتى ...

قاطعه الطبيب في حدة :

ـ أخبرتك من قبل أنها تعاني من انهيار عصبي .. لماذا لا يمكنك أن تفهم هذا ؟!

لم يجادله (نور) هذه المرة ، ووقف صامتا ، يراقب (مشيرة) ، التى انخرطت في بكاء حار ، وهي تشيح بوجهها عنه ، وكأنها تخشى التطلع إليه ..

وفى أعماقه شعر أن الطبيب على خطأ ..

هذا الذى أصاب (مشيرة) ليس مجرّد انهيار عصبي عادى .. إنه أمر آخر ..

لقد رأت (مشيرة) شيئا ما ، وتحاول أن تخفيه في أعماقها ..

وهذا الشيء بالغ الخطورة ..

وبالغ الدقة ..

وأنبأته غريزته أن ما تخفيه (مشيرة) قد يكون أوّل الخيط ، في طريق كشف اللغز ..

لغز الجاسوس الآلى .

* * *

٥ ـ كل الحيرة ..

لم يكد (نور) يصل إلى منزله ، فى الدقائق الأولى من الصباح ، حتى استقبلته ابنته (نشوى) فى لهفة ، وهى تهتف :

ـ أبى .. لقد توصلنا إلى سر اختفاء ذلك الآلى .

قال فى هدوء ، وهو يستقر فوق أحد مقاعد الردهة :

ـ أتقصدين قدرته على محاكاة البيئة المحيطة ؟

تطلعت إليه (نشوى) فى دهشة ، فى حين قالت (سلوى) :

ـ هل استنتجت هذا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كان هذا هو التفسير المنطقى الوحيد.

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ لقد ضرب ضربة ثانية .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى ضيق :

ـ بلى .. هاجم شركة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتل (مشيرة) .

شهقت (سلوى) ، وهتفت :

ـ يقتل (مشيرة) ؟!.. يا إلهى .. ما الذى يفعله ذلك الآلى بالضبط ؟

اعتدل (نور) فى مقعده ، وقال :

ـ إنه ما يزال فى مرحلة الإعداد يا (سلوى) .. وأقصد بهذا إعداد قدراته القتالية ، على النحو الذى يضمن له التفوّق ، فى هذا العالم الجديد ..

هتفت (نشوى) :

ـ لماذا ؟

هزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ لا أحد يمكنه الجزم بهدفه الفعلى بعد ، ولكنه يزداد قوة وخطورة فى كل مرة .. إنه الآن يمتلك قوة جسدية خارقة ، ومناعة ضد أشعة الليزر ، وقدرة هائلة على التخفى ومحاكاة البيئة ، ويمكنه الشوشرة على أجهزة الكشف والإنذار ، كما أصبح بضربته الأخيرة قادرًا على الرؤية فى الظلام الدامس ، ونقل ما يراه إلى جهة ما ، وبضربة أو ضربتين إضافيتين ، سيصبح نموذجًا حديثًا للمقاتل الآلى .

قال (محمود) فى توتر :

ـ إنه لم يبلغ بعد قوة (س ـ ١٨) .

أجابه (نور) :

- ولكن ما يلفه يكفي للتفوق .. أضف إلى هذا أنه هو الذى يحدد مكان وموعد كل ضربة ، وليس أمامنا سوى إحصاء ما تركه خلفه من إصابات وتلفيات .

قال (رمزى) فى ضيق :

- ألا توجد وسيلة واحدة ، لمنعه من هذا ؟

صمت (نور) لحظات ، وهو يسترجع تفاصيل حديثه مع (مشيرة) ، ثم قال :

- أعتقد أنه هناك شىء ما ، يمكن أن يقودنا إليه ، ولكن هذا الشىء يختفى فى أعماق (مشيرة) .

بدت الدهشة على وجه الجميع ، وقال (محمود) :

- ما الذى تقصده بالضبط يا (نور) ؟

شرح لهم (نور) كل ما لديه ، وقصّ عليهم موقف (مشيرة) العجيب ، واستمعوا إليه فى انتباه كامل ، ثم قال (رمزى) :

- لو أن الصورة التى نقلتها كاملة يا (نور) ، فهذا يعنى بالفعل أن (مشيرة) تخفى شيئًا ما .

قال (نور) :

- كان هذا واضحًا ، فهناك أمر ما ، ترفض (مشيرة) الإفصاح عنه ، وليس هذا الأمر وحده ما يقلقنى ، ولكننى أتساءل .. لماذا تخفيه (مشيرة) ؟.

قال (محمود) فى اهتمام :

- هذا هو السؤال .

تثاءبت (نشوى) فى قوة ، ودعكت عينيها ، قائلة :

- أعتقد أننى لن أستطيع التفكير على نحو جيد ، فلقد تثاقلت أجفانى فى شدة ، وأحتاج إلى قسط من النوم .

غمغم (محمود) :

- أشاركك هذا الشعور .

وتنهّد (نور) ، قبل أن يقول :

- هذا أمر طبيعى ، فلقد قضينا الليل كله ساهرين ، ولكننى أعتقد أن النوم سيعجز عن زيارة عقلى ، ما دام هذا السؤال يتردّد فى أعماقى .

سألته (سلوى) :

- أى سؤال ؟

شرد بصره لحظات ، قبل أن يقول :

- أين يمكن أن يضرب ذلك الآلى ضربته التالية ؟..

نعم يا (نور) .. هذا هو السؤال ..

أين ستأتى الضربة القادمة ؟..

أين ؟..

* * *

تراصت قائمة بأسماء الأماكن المقترحة للهجوم التالى ، على شاشة الكمبيوتر الخاص بالقائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، وطالعها القائد فى اهتمام كامل ، قبل أن يقول للدكتور (ناظم) :

ـ أهذه كل الأماكن الممكنة ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يقاوم ذلك الشعور العنيف بالإرهاق ، الذى يحيط بعقله :

ـ هذا ما استقرت عليه آراء الخبراء ، وما استنتجه الكمبيوتر يا سيدى ، فمن الواضح أن من صنع الآلى يسعى لمنحه كل ما يمكنه من قوة ، ومن مزايا تكنولوجية حديثة ، ولقد منحه الكثير حتى الآن بالفعل ، وسيحتاج إلى بعض الأسلحة ، إلى جوار هذا ، ومن الطبيعى إذن أن تكون الأهداف القائمة هى مخازن وزارة الدفاع ، ومصنع الأسلحة الجديد ، أو إدارة المخابرات هنا .. هذه وحدها الأماكن ، التى يمكن أن يسعى إليها صانعو ذلك الآلى .

عاد القائد الأعلى يطالع القائمة ، ثم سأل :

ـ وما رأى (نور) ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ لم يكتب تقريره بعد ، ولست أظنه قادرًا على هذا الآن ، فقد قضى ليلته فى توتر كامل مثلى .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ـ من الواضح أنك لا تعرف (نور) جيدًا ، ولا تقدّره حق قدره .. هذا الفتى أروع مما تتصوّر ، وعقله لا يهدأ أبدًا ، ولا يمكنه أن يهدأ ، ما دام هناك أمر ما يشغله .

قال الدكتور (ناظم) فى ثقة :

ـ ولكن النوم سلطان كما يقولون ، ومن العسير أن يقاوم أى شخص عادى ، أو حتى شخص من طراز هذا الـ ...

قاطعه أزيز خافت ، انطلق من جزء خاص ، فى مكتب القائد الأعلى ، الذى التفت فى اهتمام كبير إلى شاشة صغيرة أمامه ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، جعلت الدكتور (ناظم) يسأله :

ـ ماذا لدينا ؟

أجابه القائد الأعلى مبتسمًا :

ـ إنه (نور) .. من الواضح أنه هزم سلطان النوم .

ثم ضغط واحدًا من الأزرار العديدة ، التى تحتل ركنًا من مكتبه ، فانفتح باب حجرته ، وظهر على عتبته (نور) ، الذى خطا إلى الداخل فى نشاط واضح ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية الرسمية ، قائلًا :

ـ الرائد (نور الدين محمود) ، فى خدمتك ياسيدى .

قال القائد الأعلى فى هدوء :

ـ اجلس أيها الرائد .. كنا نتحدث عنك .

جلس (نور) ، وهو يقول :

ـ لقد توصلنا إلى سر قدرة ذلك الآلى على التخفى ياسيدى .. إنه يمتلك قدرة خاصة على محاكاة البيئة المحيطة به ، إلى حد يبدو معه وكأنه قد اختفى .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ محاكاة البيئة ؟!.. يا إلهى !.. إنه مشروع الدفاع الجديد ياسيدى القائد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ مشروع الدفاع الجديد ؟!.. أى مشروع هذا يا سيدى ..

أجابه القائد الأعلى :

ـ إنه مشروع جديد أيها الرائد .. كنا نحيطه بأعلى قدر من السرية ، فى إدارة الأبحاث ، وهو عبارة عن زى عسكرى جديد ، يصلح لرجال الصاعقة والقوات الخاصة ، تم تصنيعه بأسلوب وتقنية جديدين ، بحيث يحيط به غلاف مزدوج رقيق ، من الألياف الزجاجية ، يرتبط بخزّان خاص ، وجهاز (ميكروكمبيوتر) ، صغير الحجم للغاية ، يعمل على تحليل البيئة المحيطة ، وتحديد طبيعتها وألوانها بمنتهى الدقة ، ثم يدفع عددًا من السوائل ، عبر

شبكات ميكروسكوبية ، تنتشر فى الغلاف المصنوع من الألياف الزجاجية ، بترتيب لونى خاص ، بحيث يحاكى تمامًا شكل البيئة المحيطة به ، ويخفض درجة الحرارة الخارجية فى الوقت ذاته ، أو يرفعها ، لتتساوى مع درجة البيئة المحيطة ، فتعجز كل أجهزة الرصد عن كشف من يرتدى هذا الزى ، حتى أجهزة الفحص الحرارى .

قال (نور) فى قلق :

ـ إذن فقد حصل شخص ما على هذا السر ، واستولى على تصميمات المشروع ، واستغلها فى صنع ذلك الآلى .

قال القائد الأعلى فى انفعال :

ـ وهذا يعنى أن أحد العاملين فى هذا المشروع شخص خائن يادكتور (ناظم) .

بدا الانزعاج الشديد على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل ياسيدى .. الثلاثة العاملون فى هذا المشروع من أكثر علماء المركز إخلاصًا وانتماءً ، ومجرد الشك فى نزاهتهم أمر غير وارد على الإطلاق .

قال (نور) :

ـ معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكننى لا أميل إلى الثقة المطلقة ، بالنسبة للأمور المتعلقة بأمن الدولة .

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ أتعنى أنك تشك فيهم ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ بالطبع .. الأحداث كلها تؤكد أن أحدهم خائن ، وسأشك فى الجميع ، حتى أعثر على الخائن بينهم .

مطَّ الدكتور (ناظم) شفتيه فى ضيق ، ولكن القائد الأعلى قال فى حزم :

ـ لك كل الحق فى هذا أيها الرائد ، وأنا أمنحك الآن سلطة البحث والتحقيق ، وحق الاطلاع على كل الوثائق ، التى تتيح لك فرصة التوصّل إلى الحقيقة .

قال (نور) :

ـ سأبذل ما بوسعى ياسيّدى .. اطمئن .

اعتدل القائد الأعلى فى مقعده ، وقال :

ـ هناك أمر آخر يا (نور) .. لقد وضع الخبراء قائمة بالأماكن الثلاثة ، التى يحتمل أن تكون الهدف التالى لذلك الآلى ، وأريد منك أن تطالعها ، وتدلى برأيك فيها .

قال (نور) فى بساطة :

ـ أى مكان فى (مصر) يمكن أن يكون الهدف التالى ياسيّدى ، حتى بدا عاديًا وبسيطًا .

ثم امتلأ صوته بالحزم ، وهو يضيف :

ـ إننا أمام مجنون جديد ، يسعى لامتلاك قوة تمنحه التفوق التام ، عندما تحين اللحظة ، التى يسفر فيها عن أهدافه الحقيقية ، وفى هذا المضمار لا توجد قواعد أبدًا .

وصمت لحظة ، ثم كرَّر فى حزم أكثر :

ـ أبدًا .

وكان على حق ..

* * *

خيّم الهدوء كالمعتاد ، على معهد أبحاث الطيران ، الذى تمت إقامته فى نفس المنطقة ، التى كان يحتلّها (ميناء القاهرة الجوى) القديم ، وبدا رئيسه المهندس (طاهر) سعيدًا للغاية ، وهو يقول لأحد مهندسى المعهد فى حماس :

ـ حزام الطيران هذا هو أعظم إنجاز فى عالم الطيران ، فى القرن الحادى والعشرين يا رجل .. انظر كم هو صغير وبسيط .. أتعلم أنه يفوق الحزام السابق ، الذى تم صنعه فى عام ألفين وثلاثة ، فى قوته وسرعته ؟.. صدقنى .. إننى شديد الفخر به .

سأله المهندس فى اهتمام :

ـ أتتوقع أن يتم تصنيعه قريبًا ؟

تنهّد المهندس (طاهر) فى سعادة ، وقال :

ـ لاشك فى هذا ، ولكن الذى تراه الآن هو النسخة الوحيدة منه ، التى تم صنعها بالكامل ، ولقد احتاج هذا إلى تضافر كل الإمكانات ، ولكن وجود التصميمات على اسطوانات الكمبيوتر هذه ، يجعل صنع الآلاف منه أمرًا ممكنًا ، عندما تكتمل المصانع اللازمة لهذا .

قال المهندس فى حماس :

ـ عظيم .. عظيم ياسيّدى .. هذا يعنى أنه بعد عام واحد على الأكثر يمكننا أن ..

ـ بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى حركة حادة عنيفة ، وهو يحدّق فى مدخل حجرة المهندس (طاهر) فى ذعر ، وجعل (طاهر) يلتفت إلى المدخل نفسه ، ثم ينتفض جسده كله فى قوة ..

وفى صمت وبرود ، كان الآلى يقف عند باب الحجرة ، ويتطلّع إليهما ..

ولم تكن له أعين بشرية هذه المرة ..

كانت هناك ـ بدلًا منها ـ آلتا الفيديو الدقيقتين ، فى منتصف الرأس المعدنى اللامع ..

وبصوت متوتر مرتجف ، قال المهندس (طاهر) :

ـ من أنت ؟.. أعنى ما أنت ؟.. وماذا تفعل هنا ؟

أما المهندس الآخر ، فقد تراجع قائلًا فى انفعال :

ـ سأستدعى رجال الأمن .. لست أدرى كيف تجاوزهم ، ووصل إلى هنا .

ولكن الآلى تحرّك فى سرعة عجيبة ، فقطع الحجرة كلها فى جزء من الثانية ، وقبضت أصابعه المعدنية على معصم المهندس ، قبل أن يضغط زر هاتف الفيديو ، ولوى المعصم بحركة سريعة مباغتة ، انتفض لها جسد المهندس (طاهر) مرة أخرى ، عندما صدر عن المعصم صوت مخيف ، اختلط بصرخة المهندس :

ـ لقد كسرت معصمى .. أيها المجنون .. أيها المتوحش .

راح يصرخ لثانيتين ، قبل أن تهوى قبضة الآلى على رأسه ، فتشج جمجمته شجًا ، وتلقيه على الأرض جثة هامدة ..

وتجمّدت الدماء فى عروق المهندس (طاهر) ، عندما التفت إليه الآلى ، وامتدت يده إلى حزام الطيران ..

ولم ينطق (طاهر) حرفًا واحدًا ..

لقد ترك الآلى يلتقط حزام الطيران دون مقاومة ، ثم يستدير إلى اسطوانات الكمبيوتر ، التى تحمل كل التصميمات ، ويسحقها بضربة واحدة ، ثم يتجه إلى الباب ..

وفى لحظات ، كان الآلى قد اختفى خارج المكان ..

وهنا .. هنا فقط هتف المهندس (طاهر) :

ـ لقد سرق حزام الطيران الجديد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى التقطت عيناه ذلك المشهد ، من نافذة حجرته ..

كان الآلى قد ارتدى حزام الطيران ، وانطلق به طائرًا ، و ... واختفى ..

لقد بدأ الآلى مرحلة جديدة ..

مرحلة التفوّق ..

التفوّق الجوى .

* * *



لم يكد يتم عبارته ، حتى التقطت عيناه ذلك المشهد ، من نافذة حجرته :
كان الآلى قد ارتدى حزام الطيران ، وانطلق به طائرًا واختفى ..

٦ ـ التفوّق ..

لم يكن جسد المهندس (طاهر) قد توقف عن الارتجاف بعد ، عندما وصل (نور) والدكتور (ناظم) إلى معهد أبحاث الطيران ، والتقيا به فى حجرته ، فربّت (نور) على كتفه ، وهو يقول :

ـ أهدأ يا سيدى .. لقد انتهت مشكلتك المباشرة ، ولم يعد هناك ما يهددك .

تطلّع إليه (طاهر) لحظة فى اضطراب ، قبل أن يقول :

ـ إننى أحاول أيها الرائد .. صدقنى .. إننى أبذل أقصى جهدى ، للسيطرة على أعصابى ، ولكن ما مررت به كان أمرًا بشعًا رهيبًا بالفعل .. ذلك الآلى قتل المهندس بلا رحمة ، واستولى على حزام الطيران الجديد .

قال (نور) :

ـ ومن حسن حظك أنه لم يقتلكْ أيضًا .

لوّح (طاهر) بكفه ، هاتفًا :

ـ أنا لم أقاومه ، ولو فعلت لقتلنى حتمًا .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى ضيق :

ـ ربما كان هذا ما يسعى إلى نشره بالفعل .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أجابه (نور) فى توتر ملحوظ :

ـ هذا الآلى ومن خلفه يحاولون ترويضنا ، فكل من يقاومه يُقتل بلا رحمة ، أما من يستسلم له فينجو .. قاعدة مخيفة ، سيدركها الجميع ويتبعونها ، إن عاجلًا أو آجلًا .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه بدوره ، وهو يقول :

ـ ومع الوقت لن يحاول أى مخلوق مقاومته .. يا لها من فكرة شيطانية .

تنهّد (نور) فى ضيق ، ثم التفت إلى (طاهر) ، يسأله فى اهتمام :

ـ لقد رأيت ذلك الآلى جيدًا يا سيد (طاهر) ، فهل يمكنك أن تصفه لنا ؟

لوّح الرجل بكفه ، وقال :

ـ إنه آلى .. مجرّد آلى .. جسم معدنى ، يشبه الدروع التى كان يرتديها الفرسان قديمًا ، ورأس بيضاوى كبير ، تتوسّطه عدستا فيديو دقيقتان ، بدلًا من العينين .. إنه يبدو كشخص يرتدى درعًا حديثًا .

اعتدل (نور) بحركة مفاجئة ، وهو يسأله :

ـ يبدو كماذا ؟

ارتبك الرجل ، وتصور من لهجة (نور) أنه أخطأ فى شىء ما ، فكرر فى حذر :

ـ كشخص يرتدى درعا حديثا .. ربما لم يكن تعبيرًا دقيقًا ، ولكن ..

بدا الشرود فجأة على وجه (نور) ، فتوقف المهندس عن الاستطراد ، فى حين تطلع الدكتور (ناظم) إلى (نور) فى حيرة ، ثم سأله :

ـ ماذا هناك ؟

هز (نور) رأسه بنفس الشرود ، وهو يجيب :

ـ لا شىء ياسيدى .. فقط استرجعت كلمة نطقت بها (مشيرة) ، وأنا أسألها عما رأته .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

ـ أية كلمة هذه ؟

أجابه (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

ـ لقد وصفت ذلك الذى هاجمها بأنه شخص ، وليس آليًا .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ ربما تقصد أنه شخص آلى .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ ربما يا سيدى .. ربما .

بقى الدكتور (ناظم) لحظات ، يتطلع إلى وجه (نور) ، قبل أن يغمغم بدوره :

ـ ربما .

ثم التفت إلى (طاهر) ، يسأله :

ـ ولكن كيف تفسّر وصول ذلك الآلى إلى مكتبك ، دون أن يشعر به رجال الأمن فى المعهد ؟

هزّ (طاهر) رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ هذا ما يدهشنى بشدة .. لقد أنكر الجميع مجرّد رؤيته ، ولست أدرى كيف عبر كل أنظمة الأمن ، دون أن يلمحه رجل أمن واحد !!

ولكن (نور) لم ينتبه إلى هذا الجواب ..

كان ذهنه مشغولا بالسؤال ذاته ، الذى تفجّر فى عقله ، دون أن يأتى بجواب واضح صريح ..

لماذا وصفت (مشيرة) ذلك الآلى بأنه شخص ؟ ..

لماذا ؟..

* * *

نهضت الدكتورة (جيهان مراد) تستقبل (مشيرة محفوظ) فى ترحاب ، وهى تقول فى حرارة :

ـ صباح الخير يا (مشيرة) .. كيف حالك ؟.. لم تبدين شاحبة هذا الصباح ؟.. هل أصابك شىء ما ؟

هزّت (مشيرة) رأسها نفيًا ، وقالت بصوت مختنق :

ـ لقد مررت بتجربة سيئة فحسب .

تطلّعت إليها (جيهان) لحظات فى قلق ، ثم قالت متعاطفة :

ـ لو أنها تجربة عاطفية أو نفسية ، فسأطلب من خطيبى الدكتور (هيثم) رؤيتك .. هل تعرفينه ؟.. إنه (هيثم كامل) .. أشهر طبيب نفسى فى (القاهرة الجديدة) كلها .

هزّت (مشيرة) رأسها مرة أخرى ، وقالت :

ـ أشكرك .. لست أحتاج إلى هذا ؟

هتفت (جيهان) :

ـ هل تمزحين ؟.. كل خلجة من خلجاتك تقسم بأنك تحتاجين إلى طبيب نفسى .. هيا .. لا داعى للخجل .. نصف الأسماء المعروفة فى المجتمع تذهب لزيارة (هيثم) .. أنا نفسى أثق به وبكفاءته ، و ....

قاطعتها (مشيرة) بغتة :

ـ هل يمكننى رؤية (أكرم) ؟!

تطلّعت إليها (جيهان) لحظة أخرى فى دهشة ، ثم قالت :

ـ بالتأكيد .. يمكنك دائمًا رؤيته وقتما تشائين ، فحالته ثابتة ، لا تتغيّر قط ، منذ أتى إلى هنا .

سألتها (مشيرة) فى توتر عجيب :

ـ أما يزال غارقًا فى غيبوبته ؟

أومأت (جيهان) برأسها إيجابًا ، وهى تصحبها إلى حجرة الرعاية المركّزة ، وقالت فى أسف :

ـ لا توجد أية دلائل ، تشير إلى احتمالات تحسّن مستقبلية .

سألتها (مشيرة) فى توتر :

ـ أأنت واثقة ؟!

تطلّعت إليها (جيهان) للمرة الثالثة فى دهشة ، وسألتها :

ـ ماذا بك يا (مشيرة) ؟

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ قلت لك : إننى مررت بتجربة عصيبة .

سألتها (جيهان) :

ـ أهى عصيبة إلى هذا الحد ؟

أجابتها (مشيرة) فى اقتضاب ، شأن من لا يرغب فى خوض حديث طويل :

ـ نعم .

أدركت (جيهان) أن (مشيرة) لا ترغب فى الحديث ، فلاذت بالصمت بدورها ، حتى بلغا حجرة العناية المركزة ، حيث يرقد (أكرم) ، وقد اتصلت بجسده عدة أسلاك وخراطيم دقيقة ، وأحاطت به شاشات الأجهزة المختلفة ، وكل منها يرسم إشارات منتظمة ثابتة ، فقالت (مشيرة) فى توتر :

- أأنت واثقة من أنه يرقد فى غيبوبة عميقة ؟

سألتها (جيهان) فى دهشة :

- ما هذا السؤال ؟

كررت (مشيرة) فى عصبية :

- أأنت واثقة ؟!

تنهدت (جيهان) ، وقالت :

- نعم يا (مشيرة) .. أنا واثقة ككل طبيب هنا ، من أن (أكرم) يرقد فى غيبوبة عميقة ، وكل هذه الأجهزة التى ترينها أمامك ، تؤكد هذا ، بما لا يقبل الشك .. ولكن ما سر هذا السؤال العجيب ؟

قالت فى حدة :

- مجرد سؤال .

سألتها (جيهان) فى خبث أنثوى :

- فقط .

صاحت فى عصبية شديدة :

- نعم .. فقط .. هذا شأنى وحدى .

هتفت (جيهان) :

- (مشيرة) .. ماذا أصابك ؟

صاحت (مشيرة) :

- لا شىء .. توقفى عن سؤالى عما أصابنى .. إننى على ما يرام .. هل تفهمين ؟.. على ما يرام .

قالتها وانفجرت فجأة باكية ، ثم اندفعت تغادر المكان ، ودموعها تنهمر فى غزارة ، فتابعتها (جيهان) بنظرها فى دهشة بالغة ، وغمغمت :

- ماذا أصابها ؟!..

وبقى سؤالها بلا جواب ..

* * *

على الرغم من أن (نور) لم يذق طعم النوم ، خلال الليلة السابقة ، إلا أنه لم يستطع إغلاق جفنيه ، وهو يرقد على فراشه ، فى مساء ذلك اليوم ، حتى أن زوجته (سلوى) شعرت بقلق حقيقى من أجله ، فمررت أصابعها فى شعره ، وسألته فى حنان :

- ألن تستسلم للنوم قليلا ؟

أجابها فى خفوت :

- هناك أمر ما يقلقنى .. أو أمران ، لو شئت الدقة .

سألته فى اهتمام متعاطف :

- ما هما ؟

أجاب شاردًا ببصره فى سقف الحجرة :

- أوّلهما الهدف الحقيقى ، الذى يسعى إليه خصمنا ، من كل ما يفعله .. إنه ليس جاسوسًا حتمًا ، فهو لا يتبع ما يتبعه الجواسيس عادة ، وهذا يعنى أنه يسعى لهدف شخصى ، أو لحساب منظمة جديدة ، وأيًا كانت الجهة التى ينتمى إليها ، فهو لا يفعل كل ما يفعل ، لمجرّد جمع بعض الأسلحة الحديثة .. إنه يسعى جاهدًا ليصبح أقوى شخص على سطح الأرض .. أو الشخص الذى يمتلك أقوى أسلحة معروفة .. ولكن ماذا بعد هذا ؟.. ما الذى سيفعله ، عندما يصل إلى هذا بالفعل ؟

قالت فى قلق :

- إنه أمر يستحق التفكير بالفعل .

صمتا معًا ، وهما يدرسان الأمر ، كل على حدة ، ثم سألته (سلوى) :

- وما الأمر الآخر .

زفر مجيبًا :

- (مشيرة)؟

سألته فى دهشة :

- ماذا عنها ؟

قال فى خفوت :

- إنها تخفى أمرًا ما ، وترفض الإفصاح عنه .

سألته فى اهتمام :

- أى أمر هذا ؟

قال فى حزم :

- أمر يتعلّق بحقيقة ذلك الآلى .

ثم نهض من فراشه بحركة مباغتة ، وفتح دولاب ملابسه ، ليلتقط ثيابه ، فسألته زوجته ، فى مزيج من الدهشة والقلق :

- هل ستعاود الخروج؟

أجابها فى سرعة :

- نعم .. سأذهب لزيارة (مشيرة) .. أريد معرفة ما تخفيه.

قالت فى قلق :

- ولكنك لم تنم منذ أمس .

قال وهو يرتدى ثيابه ، ويسرع إلى الخارج :

- سأنام فيما بعد ، عندما يهدأ عقلى ، ويمكننى معرفة ما تخفيه (مشيرة) .. ولماذا تخفيه ؟!

حاولت مناقشة الأمر ، ولكنه لم يمنحها الفرصة ، وإنما غادر

المنزل فى لمح البصر ، وقفز إلى سيارته الصاروخية ، وانطلق بها نحو منزل (مشيرة) ..

كان يشعر بالفعل أن حل اللغز كله بين يديها ..

فى عقلها ..

وأعماقها ..

وبسرعة سيارته الصاروخية ، قطع المسافة من منزله إلى منزلها فى أربع دقائق فحسب ، ولقد استقبلته بوجه شاحب ، وعينين محمرتين ، جعلتاه يسألها فى قلق :

- أكنت تبكين ؟

هزت رأسها فى عصبية ، وأجابت :

- لا .. كنت نائمة فحسب .

لم يحاول مجادلتها ، على الرغم من الدموع الواضحة فى مقلتيها ، وتركها تقوده إلى حجرة الضيوف ، المجاورة لباب شقتها ، ولم يكد يجلس على مقعده ، حتى سألها بغتة :

- لماذا تخفين أمر ذلك الشخص يا (مشيرة) ؟

كان يتوقع منها اعتراضا أو استنكارا ، ولكنها أشاحت بوجهها دون أن تجيب ، فأدرك أنه أصاب هدفًا صحيحًا ، وكرر فى صرامة :

- لماذا يا (مشيرة) ؟

انفجرت فجأة باكية ، وراحت تنتحب فى شدة ، وهى تقول :

- اتركنى وشأنى يا (نور) .. أرجوك .

سألها فى حزم ، متجاهلا دموعها :

- ما الذى تحاولين إخفاءه يا (مشيرة) ؟..

هتفت من وسط دموعها ، وهى تروح بكفها فى حدة :

- لست أخفى شيئا :

واصل ضغطه عليها ، قائلا :

- من الذى تحاولين حمايته إذن ؟

صرخت :

- اتركنى يا (نور) .. أرجوك .

نهض يمسك كتفها ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمعى يا (مشيرة) .. اسمعينى جيدا .. أنا أعلم الحقيقة مثلك .

انتفض جسدها فى ذعر ، وهى تهتف :

- الحقيقة ؟!.. أية حقيقة ؟

قال فى حزم ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة :

- أعلم مثلك أن خصمنا ليس شخصا آليًا .. إنه بشرى .

اتسعت عيناها فى ذعر شديد ، وارتجفت شفتاها فى شدة ، وأدرك (نور) أنه قد أصاب الهدف مباشرة هذه المرة ، وهم بالاستطراد ، وطرق الحديد وهو ساخن ، لولا أن انطلق رنين جرس الباب فجأة ، فانتزع (مشيرة) من توترها الشديد ، وانتفض جسدها فجأة ، ثم هتفت :

- سأرى من بالباب .

وتملصت من (نور) فى حركة سريعة ، واندفعت نحو باب الشقة ، وفتحته ، و ... وانطلقت صرختها ..

صرخة مدوية ، تموج بالارتياع ..

وبالرعب ..

* * *



٧ - مفاجأة ..

تطلع الدكتور (ناظم) إلى وجوه العلماء الثلاثة (مجيد) و (مروان) و (فايد) ، الذين يعملون معًا فى مشروع زى التخفى العسكرى الجديد ، قبل أن يقول فى حزم :

- مهما كانت اعتراضاتكم ، ومهما كان احتجاجكم أيها السادة ، فهناك حقيقة لا تقبل الجدل ، وهى أن السر قد تسرّب بالفعل ، وأن شخصا ما ، أو منظمة ما ، تستغل هذا السلاح الجديد ، لسرقة المزيد من أسلحتنا وأسرارنا .

قال (مجيد) فى توتر شديد :

- ولكن أحدنا لم ينبس ببنت شفة يا سيدى .. إننا ندرك خطورة الأمر ، ونعمل فيه بمنتهى السرية .

وهتف (مروان) فى مرارة :

- وهذا يحطمنا نفسيًا يا سيدى .. صدقنى .. لو أننا كشفنا ذلك السر ، لما احتاج الأمر إلى عرضنا على الطبيب النفسى ، كل حين وآخر .

ولوّح (فايد) بكفه ، مستنكرًا فى حنق :

- هذا بالإضافة إلى المرتبات الضئيلة .
أكمل الدكتور (ناظم) فى سرعة :
- التى تدعو إلى السرقة .
صاح (فايد) كالمصعوق :
- السرقة ؟!.. أتتهمنى بتسريب معلومات أمنية بالغة الخطورة ، من أجل المال ياسيدى ؟!
قال الدكتور (ناظم) فى صرامة :
- بم تفسّر تسرّب المعلومات إذن ؟
تبادل العلماء الثلاثة نظرة غاضبة ، قبل أن يقول (مروان) فى حدة :
- فليكن .. إننا نقترح استجوابنا ، بجهاز كشف الكذب الحديث .
صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، وهو يتطلع إلى وجوه ثلاثتهم ، ثم قال فى حزم :
- هذا نفس ما اقترحه القائد الأعلى .
ثم استدرك فى سرعة :
- علمًا بأن الجهاز الحديث شديد الدقة ، لا يمكن خداعه قط ، على عكس الجهاز القديم ، والاستجواب سيدين المسئول حتمًا .
قال الدكتور (مجيد) فى غضب :

- أو يثبت براءة الجميع .
هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :
- لو أنهم أبرياء .
قال (مروان) فى حدة :
- فليكن .. إننا نوافق على الاستجواب .
ابتسم الدكتور (ناظم) ، قائلاً :
- جميعكم .
قال (فايد) فى حزم :
- نعم يادكتور (ناظم) .. سنخضع كلنا للاستجواب ، بجهاز كشف الكذب الحديث .. هذا وحده يمكن أن يكشف الحقيقة .
اتسعت ابتسامة (ناظم) الغامضة ، وهو يقول :
- نعم .. هذا وحده يكشف الحقيقة .. ويكشف المسئول .
وبدأ الاختبار ..

* * *

لم تكد أذنا (نور) تلتقطان صرخة (مشيرة) ، حتى اندفع جسده كله كالصاروخ ، وتجاوز ذلك الممر القصير ، الذى يفصل حجرة الضيوف عن باب الشقة ، فى لمح البصر ، ورأى أمامه شخصًا يقف أمام (مشيرة) ، فانقضّ عليه فى عنف ..

ولم يكن الأمر يحتاج عمليًا للعنف ..

لقد كان ذلك الشخص نحيلًا ، ضئيل الجسد ، يرتدى منظارًا طبيًا ، وزيًا بسيطًا ..

وفى ذعر شديد ، هتف ذلك الشخص :

ـ أنا .. أنا لم أفعل شيئًا .

ضمّ (نور) قبضته مهددًا ، وهو يسأل (مشيرة) :

ـ ماذا فعل بك هذا الوغد ؟

صاح الشخص :

ـ أقسم لك إننى لم أفعل شيئًا ، لقد رأتنى أمامها فصرخت بغتة ، دون أن أفعل شيئًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أتتوقع منى أن أصدّق هذا ؟

سمع من خلفه صوت (مشيرة) ، وهى تقول مرتجفة :

ـ إنها الحقيقة .

التفت إليها فى دهشة ، هاتفًا :

ـ الحقيقة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى توتر :

ـ لست أدرى حتى لماذا أطلقت هذه الصرخة ، ولكن يبدو أن أعصابى شديدة التوتر بالفعل .



ولم يكن الأمر يحتاج عمليًا للعنف :

لقد كان ذلك الشخص نحيلًا ، ضئيل الجسد ، يرتدى منظارًا طبيًا ، وزيًا بسيطًا ..

هتف الشاب ، وهو يعدّل منظاره فوق أنفه :

ـ ألم أقل لك ؟

تركه (نور) ، وهو يقول :

ـ معذرة .. لست أدرى لماذا فعلت (مشيرة) هذا ؟

عدّل الشاب ثيابه ، وهو يقول :

ـ أنا هنا لأجيب هذا السؤال .

سألته (مشيرة) فى دهشة :

ـ أى سؤال ؟

أجاب فى ارتباك :

ـ أنا الدكتور (هيثم كامل) ، إخصائى الطب النفسى ، وخطيب الدكتورة (جيهان مراد) .. لقد طلبت منى (جيهان) المرور على منزلك ، للاطمئنان على حالتك النفسية ، ويبدو أنها كانت على حق ؛ فمن الواضح أن أعصابك ثائرة للغاية .

مرّرت (مشيرة) أصابعها فى شعرها ، على نحو يوحى بالإرهاق والتوتر ، وهى تقول :

ـ يبدو أيضًا أن (جيهان) تهتم بشئونى أكثر مما ينبغى .

أما (نور) ، فمدّ يده يصافح (هيثم) ، قائلاً :

ـ أكرّر أسفى يادكتور (هيثم) ، فنحن لم نلتق شخصيًا ،

ولكننى سمعت بشهرتك الواسعة ، فالجميع يرددون اسمك هذه الأيام .

ابتسم (هيثم) فى زهو ، وهو يقول :

ـ هذا طبيعى ، فأنا الطبيب النفسى المعالج للجميع ، بعد انتهاء الغزو ، وبدء العالم الجديد .. يبدو أن العلاج النفسى سيستعيد مكانته هذه الأيام .

قالت (مشيرة) ، وهى تدعوه إلى الدخول :

ـ لا عجب فى هذا ، فالمصاعب تتضاعف فى كل عام يمضى .

أجابها فى هدوء :

ـ الطب النفسى لا يقضى على المصاعب ، ولكنه يساعد المرء على احتمالها .

قالت فى حدة :

ـ ولكننى لا أحتاج إلى علاج نفسى .

قال مبتسمًا :

ـ هل تراهنين ؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ ربما تحتاجين إلى ما ينعش ذاكرتك ، حتى يمكنك تذكّر ما يخفيه عقلك ، بشأن خصمنا .

رفع (هيثم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. هناك وسيلة مضمونة ، لاستعادة كل ما يرفض

العقل الباطن الاعتراف به .. التنويم المغنطيسى .. إننى خبير فى هذا المجال ، ويمكننى إغراقك فى التنويم المغنطيسى فى لحظات ، و ...

قاطعته فى حدة :

ـ لا داعى .

ثم تهدج صوتها ، وهى تستطرد :

ـ إننى أذكر كل شىء .

سألها (نور) ، فى صوت لا يخلو من الحزم :

ـ وما هذا الـ(كل شىء) ؟

مرّرت أصابعها فى شعرها مرة أخرى ، وبدت شديدة التوتر والإرهاق ، وهى تقول :

ـ لقد أخبرتك كل ما أعرف .

قال (هيثم) فجأة :

ـ خطأ .

التفتت إليه فى دهشة ، وقالت فى حدة :

ـ ما هذا الخطأ ؟

عدّل وضع منظاره الطبى مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ أنت تكذبين .. هناك أمر ما تخفينه ، وترفضين الإفصاح عنه ، وهذا الأمر بالغ الخطورة ، ويمس قلبك كثيرًا .

حدقت فى وجهه بدهشة ، وهى تهتف :

ـ ماذا تقول ؟

أجاب فى سرعة :

ـ لست أنا من يقول هذا .. الطب النفسى هو الذى يقوله .. لقد قرأت انفعالاتك فحسب .

بدا التوتر على وجهها ، فى حين قال (نور) :

ـ إنك تذكرنى بصديق لى .

ابتسم (هيثم) ، وهو يقول فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

لم يجب (نور) سؤاله ، وإنما التفت إلى (مشيرة) ، وسألها فى حزم صارم :

ـ ما الذى تخفينه يا (مشيرة) ؟

ترقرقت عيناها بالدموع مرة أخرى ، وقالت :

ـ سأخبرك يا (نور) .. ليست هناك فائدة من الإنكار .. سأخبرك كل شىء ..

وسرقتها شهقة قصيرة ، قبل أن تتابع :

ـ خصمنا ليس آليًا .. بالفعل .. إنه بشرى ، ولقد رأيت عينيه بنفسى .

أكمل (نور) :

- وعرفت من هو ؟

سرت فى جسدها قشعريرة باردة ، وهى تومئ برأسها إيجابًا ، وتقول بصوت متحشرج ، اختنق فى حلقها :

- نعم .. عرفت من هو .

سألها فى لهفة :

- من هو يا (مشيرة) ؟.. من .

وأخبرته ..

وتضاعفت دهشته ..

تضاعفت بشدة ..

* * *

أحيطت المخازن الرئيسية لوزارة الدفاع بحراسة شديدة مكثفة ، فى ظل هذه الظروف ، وبذل طاقم الأمن أقصى طاقته ، لتأمين المكان وحمايته ، وقال قائد الطاقم لرجاله فى حزم ، مع تغيير نوبة الحراسة :

- اسمعونى جيدًا يا رجال .. القيادة تقول : إنه من المحتمل أن نواجه خصمًا غير تقليدى ، فى أية لحظة ، ومن المحتم أن نكشف أمره ، ونتصدى له بكل حزم وقوة ، مهما كان الثمن ، وأيًا كانت التضحيات ، فهذا أمر يتعلق بأمن الدولة كلها .. هل تفهمون ؟

أجابوا جميعًا بالإيجاب ، فى حسم وحزم ، ثم سأله أحدهم :

- ولكن ماطبيعة خصمنا بالضبط ؟.. لقد زودونا بدروع خاصة ، وأسلحة ليزر قوية ، ووضعوا جهاز رادار كبير على سطح المبنى ، فما الذى ينبغى أن نتوقع مجابهته ؟.. أطائرة مقاتلة ، أم جيش من الغزاة ؟

قال القائد فى حسم :

- بل آلى مقاتل ..

هتف بعضهم فى دهشة :

- آلى ؟!..

أجابه القائد :

- نعم أيها الجندى .. سنواجه شخصًا آليًا مقاتلًا ، يمتلك عدة قدرات فائقة ، وتحتاج مواجهته إلى فريق كامل ، ولكننا سنكشف أمره بإذن الله ، وبفضل كل هذه الأجهزة الحديثة ، التى ...

قبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا فى مخزن الأسلحة ، وإنما فى محطة توليد الكهرباء ، على بعد كيلومترين من المكان .

وساد ظلام دامس مباغت ، جعل القائد يهتف :

- تأهبوا يا رجال .. لقد نسف خصمنا محطة توليد الكهرباء ، التى تمدنا بالطاقة ، ولكن المولد الاحتياطى سيعمل بعد لحظات .

لم تمض ثوان ، حتى بدأ المولد الاحتياطى عمله ، فسطعت الأضواء كلها مرة أخرى ، وقال القائد فى ارتياح :

- حمداً لله .. كل شىء يسير على ما يرام ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى مدخل المخزن الرئيسى ، حيث انفتح بابه عن آخره ، وسقط الجندى المكلف حراسته أمامه ، وسط بركة من الدماء ..

وهتف القائد ، وهو يعدو نحو الباب :

- إنه هنا .

سرى التوتر فى أجساد الرجال ، وتأهب كل منهم بمدفعه الليزرى القوى فى حذر ، فى حين بلغ القائد موضع الباب فى لحظات ، وانحنى يفحص الجندى القتيل ، قبل أن يقول فى انفعال :

- لقد قتله شىء ما .. جمجمته مشجوجة إلى نصفين .

أجابه مساعده ، وهو يتلفت حوله فى قلق :

- كيف ؟!.. لم ينقطع الضوء لأكثر من لحظات ، ثم إن الضربة التى شجت جمجمة الرجل هكذا ، تحتاج إلى جسم يزن ربع طن على الأقل .

غمغم القائد :

- أو إلى قبضة فولاذية .

ثم هتف مستطرداً ، وهو يشير إلى بقعة قريبة .

- انظر .. هناك آثار أقدام .

التفت مساعده فى سرعة إلى آثار الأقدام ، وهتف :

- رباه !!.. هذا صحيح .. لقد كان خصمنا يقف هنا .. كيف لم نره إذن ؟

أجابه القائد فى توتر :

- ليس هذا هو المهم .. انظر إلى آثار الأقدام .. إنها تسير إلى هنا ، وتعبر الباب .

اتسعت عينا مساعده ، وهو يقول :

- أتدرى ما يعنيه هذا ياسيدى ؟

اعتدل القائد ، وقبض على مدفع الليزر فى حزم وقوة ، وهو يقول :

- نعم يا رجل .. يعنى أن خصمنا هنا .. داخل مخزن الأسلحة .

وازداد صوته حزماً ، وهو يضيف :

- وداخل الفخ .

* * *

٨ ـ القتال ..

انهمكت (نشوى) فى العمل ، أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، واستحوذ هذا الأمر على كل حواسها ، حتى أنها انتفضت فى شدة ، عندما سمعت صوت أمها من خلفها ، وهى تسألها فى اهتمام :

ـ ماذا تفعلين ؟

قفزت من مقعدها شاهقة ، ثم هتفت :

ـ أماه .. لقد أفزعتنى .

ابتسمت (سلوى) قائلة :

ـ لم أكن أقصد هذا ، ولكن أخبرينى .. ماذا تفعلين ؟

أشارت (نشوى) إلى الكمبيوتر ، قائلة :

ـ أحاول صنع صورة مكبّرة واضحة ، لوجه ذلك الآلى .

سألتها (سلوى) :

ـ لماذا ؟!.. إنه يرتدى خوذة معدنية .

قالت (نشوى) :

ـ هذا صحيح ، ولكن هناك فتحة مستطيلة ، فى موضع

العينين ، وأبى يقول إن شهادة (طاهر) ، مدير معهد أبحاث الطيران ، تؤكد أن الآلى يستخدم آلتى تصوير الفيديو ، اللتين سرقهما من شبكة (أنباء الفيديو) ، فى موضع العينين ، وأريد أن أعرف ماذا كان يستخدم قبل هذا .

امتلأت نفس (سلوى) بالفضول ، فجذبت مقعدًا ، وجلست إلى جوار ابنتها ، وتطلّعت إلى الشاشة ، وهى تسألها فى شغف :

ـ وماذا وجدت ؟

عادت (نشوى) إلى عملها ، وهى تقول :

ـ سنعرف بعد لحظات ، فالتكبير يفسد التفاصيل الدقيقة ، ولكن هذا البرنامج الذى أستخدمه ، يعمل على ترميم الصورة ، وتوضيحها ، مستعينًا بالتتابع المنطقى للنقاط الإليكترونية .

أومأت (سلوى) برأسها متفهّمة ، وراحت تتابع فى لهفة تلك الخطوط والنقاط الملوّنة ، التى يرصّها الكمبيوتر على شاشته فى سرعة كبيرة ، مكوّنًا صورة مكبّرة للنصف العلوى ، من وجه الآلى ، حتى اكتملت الصورة ، فهتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى !.. هذا آخر أمر كنت أتوقّعه .

أما أمها ، فقد حدّقت فى الشاشة فى صمت ذاهل ..

لقد كانت الصورة ، التى ترسمها شاشة الكمبيوتر ، هى صورة زوج من العيون ..

العيون البشرية ..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى اهتمام شديد ، وهو يطالع نتائج اختبار كشف الكذب الحديث ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويقول :

- إذن فالنتيجة سلبية ، بالنسبة للعلماء الثلاثة .

حك الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول فى حيرة :

- هذا ما أثبته الاستجواب ، فالثلاثة صادقون تمامًا ، ومن المؤكد أن أحدهم لم يكشف سر الزى الدفاعى الجديد .

سأله القائد الأعلى :

- ألا يحتمل أن يخطئ جهاز كشف الكذب الجديد ؟

هز الرجل رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- مستحيل !.. الجهاز الجديد يعمل بوساطة كمبيوتر شديد الحساسية والدقة ، يرصد وينقل كل خلجة من خلجات الجسم ، ويسجل أدق تغيير فى معدلات النبض أو التنفس ، أو اختلافات ضغط الدم والحرارة ، وحتى إشارات المخ ، ويراجعها على ملايين المعلومات المسجلة به ، ثم يعطى نتيجة ، لا تبلغ نسبة الخطأ فيها واحدًا لكل ألف مليار مرة ، وهذا يعنى بلغة العلم أن نتائجه مضمونة مائة فى المائة .

اعتدل القائد الأعلى ، وسأله :

- كيف تسرب سر الزى الجديد إذن ؟

عاد الدكتور (ناظم) يحك رأسه ، متمتمًا :

- هذا ما يحيرنى يا سيدى .

هز القائد الأعلى رأسه ، وتنهد قائلًا :

- هذا يحتاج إلى (نور) .

وافقه الدكتور (ناظم) ، قائلًا :

- بالتأكيد ، فوحدها عقلية (نور) يمكنها تحليل الموقف كله ، ودراسة كل التفاصيل ، واستنتاج ما لا نراه بأعيننا ، وما لم تدركه عقولنا ، فهذا الفتى يمتلك عقلية تحليلية نادرة بالفعل .

قال القائد الأعلى :

- حسنًا .. أطلعه على نتائج التحقيقات والاستجوابات ، وعلى كل ما يهمه معرفته ، ولنر ماذا يمكنه أن يفعل .

ارتفع فى تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فضغط القائد الأعلى أزراره ، وشاهد رسالة تتراص كلماتها فى سرعة ، على شاشة الكمبيوتر الصغير ، فهتف فى توتر :

- الآلى داخل مخزن وزارة الدفاع الرئيسى .

قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفًا :

- ماذا ؟.. هل سرق المخزن ؟

أجابه القائد الأعلى فى انفعال :

ـ ليس بعد .. إنهم يحاصرونه داخله ، وسيحاولون الإيقاع به هناك .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ هذا أيضًا يحتاج إلى عقلية خاصة ياسيدى .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردًا فى حزم :

ـ إلى (نور) ..

* * *

ملأت الدهشة جسد (نور) حتى النخاع ، وهو ينطلق بسيارته ، مبتعدًا عن منزل (مشيرة) ..

لم يكن قد استوعب بعد ما أخبرته به ..

مستحيل أن تكون على حق !!

ما تقوله ليس سوى جزء من أثر الانهيار العصبى الذى أصابها ..

(رمزى) سيؤكد هذا حتمًا ..

ولكن ماذا لو كانت على حق ؟!..

غيَّر الافتراض تفكيره تمامًا ، وأدار وجهة نظره مائة وثمانين درجة دفعة واحدة ، فتوالت فى رأسه مجموعة جديدة من الأسئلة ..

كيف يمكن أن يحدث هذا ؟..

من استغل الموقف على هذا النحو ؟!..

لو أن هذا صحيح ، فالآلى هو آخر مخلوق يخطر ببال الجميع ..

إنه ..

قطع حبل أفكاره صوت أزيز خاص ، انطلق من جهاز الكمبيوتر فى السيارة ، فضغط زره ، ورأى المعلومات تتراص على شاشته ، ففغر فاه دهشة ، وهتف :

ـ مخازن وزارة الدفاع ؟!.. يا إلهى !

زاد من سرعة سيارته ، إلى أقصى حد تسمح به قوانين القيادة داخل المدن ، وتجاوز نطاق المدينة بعد ست دقائق ، متخذًا الطريق الخاص بالقيادة السريعة ، الذى يتجاوز نصب النصر على الغزاة ، المقام فى نهاية (مدينة نصر) ، واندفع عبر الطريق الصحراوى الجديد ، الذى قاده خلال دقيقتين إلى مخازن وزارة الدفاع ..

وهناك كان الموقف واضحًا ..

لقد أحاطت ثلاث فرق مسلحة بالمخزن ، وأضيف إليها مدفع ليزر مضاد للطائرات ، وأجهزة كشف حرارى ، ومراصد اليكترونى ، وسطعت الأضواء الكاشفة تحيط بالمكان كله ،

وتحيل الليل إلى نهار ، فى حين توقفت سيارة الدكتور (ناظم) أمام الباب الرئيسى ، وعلى بعد عشرة أمتار منه ، ووقف الدكتور (ناظم) نفسه مع قائد فريق الأمن ، وانهمك معه فى نقاش حاد ، حتى أوقف (نور) سيارته إلى جوارهما ، وقفز منها قائلًا :

ـ أما يزال داخل المخزن ؟

التفت إليه قائد الفريق ، وحدجه بنظرة باردة ، فى حين قال الدكتور (ناظم) فى انفعال شديد :

ـ إنه بالداخل ، ولكنه لم يفعل شيئًا بعد .

سأله (نور) :

ـ هل رآه أحد ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، ولكن كل شىء يؤكد أنه بالداخل ، ويمكننا محاصرته وأسره .

قال (نور) :

ـ لن يكون هذا سهلًا .

التقى حاجبا القائد فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولن يكون صعبًا أيضًا .. سألقى القبض على هذا الشىء ـ أيًا كان ـ فى غضون نصف الساعة فحسب ، ولقد أعددت فرقة من رجالى لهذا .

قال (نور) محذرًا :

ـ لاحظ أن خصمك ليس تقليديًا .. إنه ..

قاطعه الرجل فى حزم :

ـ رجالى أيضًا ليسوا تقليديين .

ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا :

ـ والآن معذرة .. أمامنا مهمة ينبغى إنجازها .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ ولكننى أمنعك من دخول هذا المخزن مع رجالك ، قبل أن تصل كل المعدات العلمية ، التى طلبتها من الإدارة .

قال القائد فى حدة :

ـ آسف ياسيدى .. إننى قائد عسكرى ، لا أنتمى إلى المخابرات العلمية ، وإداراتها المتحذلقة .. لقد تلقيت أوامرى بالدفاع عن المخزن الرئيسى ، وحمايته من أى اعتداء مهما كان الثمن ، وسأنفذ الأوامر بلا تردد .

والتفت إلى رجاله مستطردًا فى صرامة :

ـ هيا يارجال .

قال (نور) فى سرعة :

ـ أيمكننى أن أصحبكم ؟

رمقه القائد بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كلا أيها الرائد .. صحيح أنك بطل التحرير الشهير ، ولكن هذا وحده يكفى لأمنعك من اصطحابنا ، فربما يصيب وجودك رجالى بالإحباط .

قال (نور) :
- لن أعلن شخصيتى ، سأعمل كجندى عادى ، و ...
قاطعه القائد فى غضب :
- قلت كلا أيها الرائد .
بدا الحنق على وجه (نور) ، ولكنه اعتدل صامتًا ، دون أن يعلق بحرف واحد ، فى حين اندفع القائد مع خمسة من رجاله إلى داخل المخزن ، وهو يقول للفرق الواقفة خارجه :
- تأهبوا جميعًا للقتال ، وانسفوا كل من يخرج من هنا سوانا .
ثم غاب مع رجاله داخل المخزن ..
وفى توتر ، قال (نور) :
- هذا الأحمق لا يدرك قوة خصمه .
غمغم الدكتور (ناظم) :
- أخشى أن يدرك هذا بعد فوات الأوان .
زفر (نور) ، وقال :
- هذا ما أخشاه أنا أيضًا .
ووقف معقود الساعدين ، يراقب المدخل فى توتر شديد ، وهو يشعر أن القتال لن ينتهى ببساطة هذه الليلة ..
أبدًا ..

* * *

عبر القائد ورجاله الخمسة ممرات المخزن الداخلية فى حذر بالغ ، ومدافعهم الليزرية مشهورة فى أيديهم ، وعيونهم تدور فى كل ركن فى توتر وتأهب وتحفز ، وقال القائد ، وهو يشير إلى باب داخلى محطم :
- لقد بلغ هذه النقطة ، وحطم مخزن مدافع الليزر .
هتف أحد جنوده :
- مخزن القنابل أيضًا محطم .
قال القائد فى حيرة :
- ولكن أين ذهب ؟.. ها هوذا المكان كله يبدو أمامنا خاليًا ساكنًا ، لا أثر فيه لأى شخص ، آلى أو غير آلى .
دارت العيون فى المكان مرة أخرى ، وبدا لهما بالفعل خاليًا ساكنًا ، ثم رفع أحدهم عينيه إلى أعلى بحركة غريزية ، ولم يكد يفعل حتى انتفض فى شدة ..
كان الآلى ملتصقًا بالسقف ..
والكلمة هنا ليست مجرد صيغة مبالغة ، وإنما حقيقية ..
لقد كان يلتصق بالسقف بالفعل ، ويقف مقلوبًا ، معقود الساعدين أمام صدره المعدنى القوى ، ورأسه ملقى إلى الخلف ، وعيناه المصنوعتان من آلتى تصوير الفيديو تحدقان فى الجميع من أعلى ، فى برود آلى مخيف ..

وصاح الرجل ، وهو يرفع فوهة مدفعه الليزرى إلى أعلى :
ـ ها هو ذا فوقنا .
ارتفعت كل الفوهات إلى أعلى .
ولكن الآلى انفصل عن السقف ، فى اللحظة نفسها ، وهوى على رءوس الجميع ..
وقبل أن ينطلق شعاع ليزرى واحد ، كانت القبضة المعدنية الفولاذية تشقّ عنق أحد الرجال الخمسة ، وتغوص فى معدة آخر ، فى حين تختطف القبضة الثانية مدفعًا ليزريًا ، وتحطمه بقوة رهيبة ..
وصاح القائد ، وهو يُطلق أشعة مدفعه على الآلى :
ـ قاتلوا يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم .
ولكن الآلى رفع ذراعه نحو جندى ثالث ، دون أن يبالى بالأشعة التى ارتطمت بصدره الآلى ، وارتدّت فى عنف ، لتخترق جسد الجندى الرابع ، وتقتله على الفور ، ولوى عنق الجندى الثالث فى قوة ، لتصدر عنها قرقعة مخيفة ، فهتف الجندى الخامس :
ـ نحن نحتاج إلى نجدة أيها القائد .
رفع القائد جهاز اللاسلكى إلى فمه ، وصاح :
ـ لقد عثرنا عليه .. أرسلوا نجدة بسرعة .





لقد كان يلتصق بالسقف بالفعل ، ويقف مقلوبًا ، معقود الساعدين أمام صدره المعدنى القوى ، ورأسه ملقى إلى الخلف ..

لم يكد ينطق عبارته ، حتى انطلقت حزمة قوية من أشعة الليزر ، من ذراع الآلى ، ومزقت الجندى الخامس إربًا ، فصرخ القائد مرة ثانية :

ـ النجدة .. بسرعة .

ولكن الآلى أطلق حزمة أشعة أخرى ، سحقت القائد سحقًا ، وتردد صوتها عبر جهاز اللاسلكى ، فصاح (نور) :

ـ إنه يقتلهم بلا رحمة .

ثم انتزع مسدسه الليزرى ، وانطلق نحو المخزن بلا تردد ، فى حين صرخ الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

ـ لا .. لا يا (نور) .. لا تواجهه وحدك .

ولكن (نور) اقتحم المخزن ، وركض عبر ممراته فى سرعة ، حتى بلغ صالته الكبيرة ، و ..

ووجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام الآلى ..

وفى نفس اللحظة أطلق الآلى حزمة ضخمة من الأشعة نحو هدفه ..

حزمة ذات قوة تدمير رهيبة ..

وأصابت الحزمة هدفها ..

أصابته تمامًا .

* * *

٩ ـ من ؟! ..

استقبلت (نشوى) (رمزى) و (محمود) ، عند باب المنزل ، فى حرارة وحماس ، وهى تهتف :

ـ لقد توصلنا إلى حقيقة مدهشة ، بشأن الآلى .

انتزعت بعبارتها هذه اهتمام الاثنين ، فسألها (محمود) فى لهفة :

ـ ما هى بالضبط ؟

قادتهما فى انفعال إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ إنه ليس آليًا .. إنه بشرى يرتدى درعًا يشبه الآليين .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ بشرى ؟!

تطلّع مع (محمود) إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام شديد ، ثم قال :

ـ كيف أمكنك الجزم بهذا ؟

أشارت إلى العينين الكبيرتين ، قائلة :

ـ انظرا .. إنها عيون بشرية .

لم تكن تفاصيل المشهد واضحة تمامًا ، ولكن الأعين البشرية كانت مميّزة ، إلى حد جعل (محمود) يقول :

ـ يالمفاجأة !.. إذن فهو ليس آليًا .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ على الأرجح .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى بهذه العبارة ؟.. ألا ترى الصورة الواضحة ؟

قال (رمزى) فى لهجة حاسمة :

ـ كون عينيه لهما شكل بشرى ، لا يعنى أبدًا أنهما بشريتان ، فربما وضع صانعه تصميماته بحيث تبدوان هكذا ، لغرض فى نفسه .

تبادلت (سلوى) و (نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن تقول (نشوى) فى إحباط مرير ، وأسف واضح :

ـ نعم .. هذا محتمل .

ابتسم (رمزى) فى حنان ، وهو يقول لها :

ـ إننا نسعى خلف الحقيقة ، لا خلف إرضاء بعضنا البعض .. أليس كذلك ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .

التقت عيناه بعينيها ، وانتقلت بينهما رسالة حب واضحة ، فازداد تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت عينيها فى حياء ، فى حين ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وقالت فى صوت شديد الخفوت ، وكأنها تخشى إفساد تلك اللحظة الجميلة :

ـ ولكنّ هناك احتمال أن تكون عيونًا بشرية حقيقية .

انتزع (رمزى) نفسه من الموقف ، وتنحنح قائلًا فى جدية :

ـ بالتأكيد .. إنه احتمال وارد .

ثم التفت متطلّعًا إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن هذا يضعنا أمام حيرة أخرى .

وأشار إلى الشاشة ، قائلًا :

ـ هذه الأعين لا تتناسب مع التكوين العام .

تطلّع الجميع إلى الشاشة فى حيرة ، قبل أن تسأل (نشوى) :

ـ أى تكوين عام ؟

أجابها (رمزى) :

ـ التكوين التشريحى .. لو أن هذه هى مساحة الوجه ، فالعينان تبدوان صغيرتين داخله ، أكثر مما ينبغى .

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ إذن فهو رجل يرتدى درعًا كبيرًا .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

- ربما .

ثم استدرك في سرعة :

- أو أنه نصف آلي .

سألته (سلوى) في دهشة :

- ماذا تعني بهذا ؟

اعتدل مجيبًا في اهتمام :

- إنه مشروع (سيبورج) ، الذي درس الأطباء إمكانيات تحويله إلى حقيقة ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهو عبارة عن إحلال أجزاء آلية ، محل بعض الأجهزة والأطراف البشرية ، مع إيصالها بالنهايات الطرفية العصبية الحية ، بحيث تتفاعل مع إشارات المخ ، وتعمل وكأنها أجزاء طبيعية ، مع فارق القوة والقدرة ، ويتم بعدها تغطيتها بنسيج جلدي صناعي ، فتبدو كما لو كانت أطرافًا حقيقية ، ولقد نفّذ العلماء جزءًا من هذا المشروع ، في أوائل السبعينات من القرن العشرين ، وزرعوا بعض الأطراف الصناعية الآلية ، لعدد من مصابي الحرب ، ولكن التجارب لم تكتمل في حينها ، بسبب نقص التمويل والإمكانات(*) .

قال (محمود) في قلق :

(*) حقيقة .

- أتعني أننا أمام أوّل شخص من البشر ، اكتمل معه مشروع (سيبورج) ، فأصبح مقاتلًا نصف آلي ، يجمع ما بين العقل البشري المتطوّر ، والأطراف الصناعية المتينة ، والدروع المنيعة ، إلى جانب كل ما حصل عليه من أسلحة ؟

أومأ (رمزي) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. هذا ما أعنيه بالضبط ياصديقي .

ثم استدرك في سرعة :

- ولكن كل هذا احتمال وارد فحسب .

وعاد يلتفت إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا :

- مجرّد احتمال ..

* * *

في نفس اللحظة ، التي بلغ فيها (نور) صالة المخزن الرئيسية ، كان الآلي يطلق حزمة ضخمة من أشعة الليزر ، نحو هدفه ..

ومن حسن الحظ أن هذا الهدف لم يكن (نور) ..

كان سقف المخزن ..

وسمع (نور) من فوقه دويًا رهيبًا ، عندما أصابت حزمة الأشعة السقف ، وسحقته سحقًا ، حتى أن أحجاره تساقطت على



ولكن الآلى عبر السقف فى سرعة مدهشة ، وتجاوز الفتحة التى صنعها فى مهارة ، ثم واصل طريقه فى السماء المظلمة ..

هينة غبار وحصى صغيرة ، رفع (نور) ذراعيه ليقى رأسه منها ..

وفى نفس اللحظة انطلق الآلى طائرًا ..

وهتف (نور) :

ـ قف أيها المجرم .

ورفع مسدسه الليزرى فى سرعة ، على الرغم من الغبار والحصى المتساقطة ، وراح يطلق أشعته نحو الآلى فى غزارة ..

ولكن الآلى عبر السقف فى سرعة مدهشة ، وتجاوز الفتحة التى صنعها فى مهارة ، ثم واصل طريقه فى السماء المظلمة ..

وسمع (نور) صراخ وهتاف فرق الأمن الخارجية ، ورأى خيوط وحزم أشعة الليزر تشق السماء ، وتتلاشى فى الهواء ، دون أن يصيب أى منها هدفه ، أو حتى يخدشه ..

لقد اختفى الآلى ..

اختفى تمامًا ..

واندفع عشرات من رجال الأمن داخل المخزن ، واتسعت عيونهم فى ذهول ، أمام جثث القتلى ، وآثار الدمار ، ولحق بهم الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. أأنت بخير ياولدى ؟

أجابه (نور) فى مرارة :

- يدهشنى أن ظللت بخير ياسيّدى ، مع كل ما حدث .. ذلك الوغد يقتل ويدمر ، دون أن يطرف له جفن .

قال الرجل فى دهشة :

- (نور) .. إنك تتحدث عن هذا الآلى ، كما لو كان مخلوقًا حيًا .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

- ومن أدراك أنه ليس كذلك ياسيّدى ؟

هتف الدكتور (ناظم) :

- أى قول هذا يا (نور) ؟.. هل تخفى شيئًا ؟!

قال (نور) ، متجاوزًا السؤال :

- إننى لم أتم تحرياتى بعد ياسيّدى .

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) فى تساؤل حائر ، ولكن (نور) أعاد مسدسه الليزرى إلى غمده ، وهو يقول مستطردًا :

- معذرة ياسيّدى .. سأنصرف لإتمام مهمتى .

استوقفه الدكتور (ناظم) ، قائلًا :

- (نور) .. ما الذى توصّلت إليه بالضبط ؟

بقى (نور) جامدًا لحظة ، ثم التفت إليه قائلًا :

- لم أتوصّل إلى شىء بعد ياسيّدى .. ليس بعد .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكنك رأيت الآلى وجهًا لوجه .

مط (نور) شفتيه ، وقال :

- لم يضف هذا جديدًا .

ثم انصرف فى خطوات سريعة ، مغادرًا المخزن ، والدكتور (ناظم) يتابعه ببصره فى قلق وحيرة ، قبل أن يقول لنفسه :

- هذا الفتى يخفى أمرًا ما ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- أمرًا بالغ الخطورة .

وكان على حق ..

* * *

عندما عاد (نور) إلى منزله ، استقبله أفراد الفريق كلهم فى لهفة ، وروت له (نشوى) ما توصّلت إليه ، وشرح له (رمزى) نظريته ، فاستمع إليهما فى اهتمام وصمت كاملين ، ثم تراجع فى مقعده ، وقال :

- كل ما قلتماه جيد ، ولكن أقوال (مشيرة) ستقلب كل فكرة فى رأسيكما رأسًا على عقب .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- كيف ؟!

أجاب فى حزم :

- لقد رأت الآلى وجهًا لوجه .

غمغمت (نشوى) :

- وماذا بعد ؟

أكمل فى هدوء :

- وتعرّفته ؟!

هبّ (محمود) من مقعده متسع العينين ، واعتدل (رمزى) فى مجلسه بحركة حادة ، والتقى حاجبا (نشوى) فى شدة ، فى حين قالت (سلوى) فى دهشة :

- تعرّفته ؟!.. ماذا تعنى بهذا القول ؟

أجابها محاولًا إخفاء انفعالاته :

- عندما هاجم الآلى مقر شركة (أنباء الفيديو) ، كانت لدى (مشيرة) فرصة مثالية ، لتحدّق فى وجهه وعينيه مباشرة ، وهى تؤكد بهذا ما توصلت إليه (نشوى) ، من أن عيون الآلى كانت بشرية .. بشرية تمامًا .

هتفت (نشوى) فى ظفر :

- ألم أقل لكم ؟

تابع (نور) ، وكأنما لم يسمع تعليق ابنته :

- وعيون مألوفة لها .

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول (رمزى) :

- أتعنى يا (نور) أن عينى الآلى كانت لشخص تعرفه (مشيرة) ، حتى أنها تعرّفته على الفور .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فاستطرد (رمزى) فى انفعال :

- هذا هو تفسير متاعبها النفسية إذن !.. لقد تعرّفت ذلك الشخص ، الذى يتخفّى فى زى الآلى ، ولم تشأ الإفصاح عن شخصيته لسبب ما .

وهتفت (سلوى) :

- هذا يحل اللغز كله يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- على العكس يا رفاق .. إنه يزيد الأمر تعقيدًا ، فالشخص الذى تعرّفت (مشيرة) عينيه ، لا يمكنه علميًا وعمليًا أن يفعل كل ما فعله الآلى .. ببساطة لأنه شخص لا يغادر فراشه قط .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- أبى .. أخشى أن يكون الشخص الذى تقصده هو ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فأجاب هو :

- نعم يا ابنتى .. إنه نفس الشخص ، الذى يفترض رقوده فى غيبوبة عميقة .. إنه (أكرم) ..

وكانت الدهشة عارمة بحق .

* * *

١٠ ـ المستحيل ..

« (أكرم) ؟!.. »

هتفت الدكتورة (جيهان) بالاسم ، فى ذهول تام ، قبل أن تستطرد مستنكرة :

ـ أى قول أحمق سخيف هذا ؟!.. (أكرم) يرقد فى حجرة العناية المركزة ، منذ إصابته بتلك الغيبوبة ، ولا يمكنه مغادرة الحجرة ، أو القيام بأى عمل آخر ، دون أن ينتبه طاقم التمريض كله لهذا .

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولكن لدينا شهادة حاسمة ، تؤكد أنه هو نفسه ذلك الآلى ، الذى يقتل ويدمر كل ما حوله ، دون تردد أو تفكير .

قالت فى حدة :

ـ ومن الأحمق صاحب هذه الشهادة السخيفة ؟

أجابها فى حسم :

ـ (مشيرة) .. (مشيرة محفوظ) .. لقد تعرفت عينيه بنفسها .

ارتفع حاجبا (جيهان) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن رفعت :

ـ إذن فهذا هو السبب ، الذى أصابها بالحزن والاكتئاب ، عندما أتت لزيارة (أكرم) فى المرة الأخيرة .

ثم اعتدلت مستطردة ، وهى تواجه أفراد الفريق كلهم :

ـ حسنًا .. سأثبت لكم أن هذا مستحيل .

والتفتت إلى (مشيرة) ، قائلة :

ـ إذن فهذا سر توترك الزائد ، فى زيارتك السابقة له !

لم تنبس (مشيرة) بحرف واحد ، وإنما ازداد وجهها شحوبًا ، وأشاحت به فى صمت ، فهزت (جيهان) رأسها ، وقالت :

ـ حسنًا .. هيا بنا .

قادت الجميع عبر ممرات وأروقة المستشفى ، حتى حجرة العناية المركزة ، التى يرقد فى منتصفها (أكرم) ، وحوله كل الآلات والمعدات التكنولوجية ، التى تفحص كل أجهزة وتغيرات جسده طيلة الوقت ، وتطلع إليه الجميع فى حيرة ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، التى تفصله عنهم ، ثم سأل (نور) :

ـ كيف يمكن التأكد من أنه غارق فى غيبوبة عميقة ؟

أشارت إلى الأجهزة ، قائلة :

ـ نفس السؤال الذى ألقته (مشيرة) من قبل .. والجواب هو

أن أى طبيب متخصص ، يمكنه التيقن من هذا ، من نظرة واحدة إلى ما ترسمه كل هذه الشاشات .

وتمتم (رمزى) من خلفه :

ـ هذا صحيح .

سأله (نور) :

ـ أأنت واثق ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لو تابعت كل ما ترسمه الشاشات مجتمعة ، لوجدته يسير فى نمط واحد ثابت ، بلا أية تغيرات أو انفعالات ، وهذا يعنى أن الشخص الذى تتصل به هذه الأجهزة ، غارق فى نوم عميق للغاية ، أو فى غيبوبة طويلة .

سأله محمود :

ـ وكيف يمكن التفرقة بين هذا وذاك ؟

أجابه (رمزى) :

ـ النائم يحلم حتمًا ، حتى ولو لم يتذكر هو نفسه ما حلم به(*) ، وهذه الأحلام ستحدث تغيرات فى خطوط رسام المخ الكهربى ، وهذا ما لا يحدث أبدًا ، فى حالات الغيبوبة العميقة ، حيث لا أحلام أو انفعالات .

(*) حقيقة علمية .

أضاف جوابه مزيدًا من الحيرة ، إلى عقولهم وقلوبهم ، وظلوا يتطلعون إلى (أكرم) لحظات ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، حتى قالت (جيهان) بضيق :

ـ أما يزال الشك راقدًا فى أعماقكم ؟

تطلعوا إليها فى صمت حائر ، قبل أن يقول (نور) فى خفوت :

ـ إننا لم نحسم الأمر بعد .

غادر الجميع حجرة العناية المركزة ، والصمت يغلف مسيرتهم تمامًا ، حتى عادوا إلى حجرة (جيهان) ، وهناك استقبلهم (هيثم) بجسده الضئيل النحيل ، وابتسامته الهادئة ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ هل انتهيتم من مهمتكم ؟

أجابته (سلوى) :

ـ نعم .. أتمم هذا .

ابتسم أكثر ، وهو يرمق (مشيرة) بنظرة جانبية ، قائلًا :

ـ أراهن أن النتيجة جاءت سلبية .. أليس كذلك ؟

سأله (رمزى) بسرعة :

ـ ولماذا توقعت هذا ؟

هز كتفيه ، قائلًا :

ـ أنا طبيب نفسى .

أجابه (رمزى) ، فى شىء من الحدة :

- وأنا أيضًا ، وسيمكننى حتمًا أن أفهم الأسباب ، التى استندت إليها لتكوين رأيك هذا !

تنحنح (هيثم) ، وعدّل وضع منظاره الطبى كعادته ، وهو يقول :

- لقد تعرّضت (مشيرة) لتجربة قاسية ، عندما هاجم ذلك الآلى شبكة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتلها ، ووقر فى أعماقها أنه يستطيع القضاء عليها تمامًا ، لو أرشدت الآخرين إليه ، ولكنها فى الوقت ذاته لا تستطيع كتمان ما لديها ، ما دام من الممكن أن يفيد فى إلقاء المزيد من الضوء ، على شخصية الآلى وصانعيه ، فما الذى يمكنها أن تفعله ، إزاء هذه المشكلة ؟.. إن عقلها الباطن يبتكر فكرة عجيبة ، ويقنعها بصحتها .. وهذه الفكرة هى أن ذلك الآلى فى حقيقته شخص بشرى ، تشعر نحوه بانتماء شديد ، وهذا الشخص هو (أكرم) .. أقرب الناس إليها ، وفى هذه الحالة يكون من الطبيعى أن تخفى أمره ، وستكين عقلها الواعى لهذا التفسير ، فتحتفظ بسر حبيبها ، ويهدأ ضميرها فى الوقت ذاته .

قال (رمزى) على الفور :

- تفسير أنيق وظريف أيها الزميل ، ولكنه يفتقر إلى الواقعية والدقة ، فلو أن ما تقوله صحيحًا ، فلماذا شحبت (مشيرة) وتوترت ، وأصيبت أعصابها بكل هذا الانهيار ، ما دام عقلها الباطن قد أوجد خطًا دفاعيًا منطقيًا ؟!

رفع (هيثم) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- هذا لأن العقل الباطن لم ..

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- كفى .. ليس من حقكما وصف مشاعرى وأحاسيسى ، دون الرجوع إلىّ .. ليس هذا من حقكما .

ثم انخرطت فى بكاء حار ، فران على الجميع وجوم وسكون ، وهم يتبادلون نظرات آسفة ، قبل أن يغمغم (هيثم) :

- إننى أعتذر .

هتفت من وسط دموعها :

- كلاكما على خطأ .. لقد رأيت عينىّ (أكرم) بنفسى .. أقسم ألف ألف مرة على هذا ..

لست أدرى كيف حدث هذا ، ولا كيف يخرج (أكرم) من غيبوبته ، ويحتل ذلك الجسد الآلى .. ولكن من رأيته كان (أكرم) حتمًا .

تمتم (نور) مشفقًا :

- ولكن يا (مشيرة) لا يوجد دليل واحد على هذا ، ولا على ..

قاطعته صائحة :

- من قال إنه لا يوجد دليل واحد ؟.. إنكم فقط لم تحاولوا التفكير جيدًا .. هناك دليل قوى يؤكد أقوالى .

سألتها (سلوى) :

ـ وما هو ؟

أجابت في حسم :

ـ إنه لم يقتلني .

تطلع إليها الجميع في دهشة ، فأضافت في انفعال :

ـ لم يقتلني لأنه (أكرم) ، ولأنه يحبني .. هل رأيتم في حياتكم كلها مجرمًا ، مهما بلغت قسوته ووحشيته ، يقدم على قتل محبوبته ؟!

تفجّر قولها هذا في رءوس ووجوه وأعماق الجميع ، وأعاد الشك دفعة واحدة ، في أن يكون هناك سر خفي ، وراء تحوّل (أكرم) إلى ذلك الآلي ، حتى هتفت (جيهان) في توتر :

ـ كلا يا (مشيرة) .. هذا ليس دليلًا .. إنه مجرّد قرينة ، قد تؤيّد هذا الاحتمال ، أو تشير إلى احتمال آخر ، ولكن من المستحيل إقناعي بأن (أكرم) ليس غارقًا في غيبوبة عميقة .

صاحت (مشيرة) في ثورة :

ـ خطأ .. كل هذا مجرّد خطأ .. خطأ .

أسرع الدكتور (هيثم) يلتقط محقنًا ، وهو يقول :

ـ ستصاب بانهيار عصبي آخر .

ثم اندفع نحوها ، وغرس إبرة المحقن في ذراعها ، فصرخت :

ـ لا .. لا تفعل هذا .

ولكنه دفع السائل المهدئ في ذراعها ، وهو يقول :

ـ معذرة ، ولكن هذا ضروري .

قاومته في عنف ، وانتزعت إبرة المحقن من ذراعها ، فقال (رمزي) ، محاولًا تهدئتها :

ـ هذا لمصلحتك يا (مشيرة) .. صدقيني .

صرخت :

ـ لا شأن لكم بي .. ابتعدوا عني .. ابتعدوا .

ولكن المهدئ القوي جعلها تترنّح ، وهي تلوّح بيدها ، وصوتها يخفت تدريجيًا :

ـ ابتعدوا عني .

أسرع (رمزي) يتلقّاها بين ذراعيه ، ويرقدها على منضدة الفحص في رفق ، ولم تستطع (نشوى) إخفاء غيرتها ، وهي تغمغم :

ـ هل فقدت وعيها ؟

أجابها (رمزي) بإيماءة من رأسه ، في حين قال (هيثم) متعاطفًا :

ـ مسكينة .. إنها تحتاج إلى رعاية نفسية مكثّفة .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطردًا :

- إننى أقترح أن تبقى هنا فى المستشفى ، ليوم أو يومين ، تحت الملاحظة .. سأتابع حالتها بنفسى .

قال (نور) :

- يبدو أنه ليس لدينا سوى الموافقة .

قالها وشرد ذهنه وبصره بعيدًا ، وهو يسأل نفسه ذلك السؤال المقلق ..

أهناك سر حقًا ، خلف (أكرم) ؟!..

هل يغرق بالفعل فى غيبوبة عميقة ؟!

وبقيت أسئلته كلها دون جواب ..

* * *

استمع القائد الأعلى إلى (نور) فى اهتمام بالغ ، وهو يروى كل ما لديه ، ثم تبادل نظرة طويلة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يسأل (نور) :

- وما تفسيرك لكل هذا ؟

أجابه (نور) :

- لم أصل إلى تفسير منطقى بعد ياسيدى ، فحالات الغيبوبة هذه ما تزال تمرّ بمرحلة من الغموض ، لا تفسير لها فى الوقت الحالى ، والملفات الطبية تقول :

إنه من كل عشرين حالة ، يمكن لحالة واحدة أن تستعيد وعيها فجأة ، دون سابق إنذار ، ودون سبب علمى معروف ، فى حين تبقى الحالات التسع عشرة الأخرى فى غيبوبتها ، حتى تحين منيتها(*) ، ولكن كل التقارير الطبية ، الخاصة بـ(أكرم) ، تؤكد أنه ما يزال فى غيبوبته ، ولم يستيقظ منها بعد ، وهذا يرجح منطق (هيثم) ، فى أن يكون كل ما قالته (مشيرة) مجرد وهم ، خلقه عقلها الباطن ، دون أدنى أساس من الصحة .

تبادل الدكتور (ناظم) نظرة أخرى مع القائد الأعلى ، ثم قال :

- وهل راجعت نتائج التحقيقات كلها ، قبل أن تدلى بهذا الرأى ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ياسيدى .. قرأت أقوال العلماء الثلاثة ، وشاهدت الشريط المسجّل لاستجوابهم ، كما طالعت نتائج جهاز كشف الكذب ، ولم يضف هذا جديدًا للموقف ، وإنما زاد من غموضه .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكن لدى هنا معلومة بالغة الأهمية ، قد تقلب تفكيرك كله رأسًا على عقب .

سأله (نور) فى اهتمام :

(*) حقيقة علمية .

- ما هى ؟

التقط الدكتور (ناظم) ورقة صغيرة ، من طابعة الليزر ، الملحقة بكمبيوتر القائد الأعلى ، وقال :

- لقد طلبت من الكمبيوتر تقريرًا عامًا ، عن حالة (أكرم) ، منذ وصل إلى المستشفى لأوّل مرة ، متضمنًا كل ما أجرى له من جراحات وعلاجات ، وكل ما صُرف من أجله ، من المخازن الطبية ، وهذا ما خرج به الكمبيوتر .

التقط (نور) الورقة بدوره ، وطالعها فى اهتمام بالغ ، حتى توقف عند نقطة خاصة منها ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !.. متى حدث هذا ؟

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يشير إلى الورقة :

- بعد أسبوع واحد من دخوله المستشفى كما ترى ، وستجد لديك اسم الشخص ، الذى تقدّم بالطلب .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يطالع الورقة ، ثم اعتدل قائلًا فى حزم :

- صدقت ياسيّدى .. هذه المعلومة تقلب الأمور كلها .

وازداد التقاء حاجبيه ، مع استطرادته :

- تقلبها رأسًا على عقب ..

* * *



التقط الدكتور (ناظم) ورقة صغيرة ، من طابعة الليزر ، الملحقة بكمبيوتر القائد الأعلى ..

استيقظت (سلوى) شديدة الإرهاق ، فى الصباح التالى ، وتثاءبت فى تهالك ، وهى تقول :

- كأنى لم أنم لحظة واحدة .. يالهذه الكوابيس اللعينة .

ألقت نظرة على الفراش الخالى ، ثم مطت شفتيها ، مستطردة فى أسى :

- كيف يحتمل (نور) العمل طوال الوقت ، على هذا النحو ؟

كانت تشعر بشفقة كبيرة تجاه زوجها ، الذى لم يذق طعم النوم ، خلال يومين متتاليين ، عمل فيهما دون توقف ، وواجه عشرات المواقف ، التى يشيب لهولها الولدان ، ولكنها كانت تدرك طبيعته ، التى لا تهدأ أو تستقر أبدًا ، إلا عندما يتوصل إلى شىء ما ، يكشف غموض اللغز الذى يقلق عقله ونفسه ..

وفى أسف ، غادرت فراشها ، واتجهت إلى حجرة (نشوى) ، ولم تكد تدخلها حتى هتفت فى دهشة :

- متى استيقظت ؟!.. إنها السادسة فحسب .

أجابتها (نشوى) ، وهى تعمل بأصابعها على أزرار الكمبيوتر ، فى اهتمام بالغ :

- صباح الخير يا أماه .. إننى لم أستيقظ ؛ لأننى - وبكل بساطة - لم أنم بعد .. إننى أعمل طيلة الليل .

هتفت (سلوى) :

- لماذا ؟!.. هل ورثت هذا عن أبيك ؟

ابتسمت (نشوى) قائلة :

- ربما .. سيكون هذا من دواعى فخرى .

ثم استعادت جديتها ، وهى تستطرد :

- ولكننى فى الواقع أعمل طيلة الليل ، فى محاولات مستمرة لتحسين الصورة المكبّرة ، التى لدينا ، والتى تبدو فيها عينا ذلك الآلى ، فأنا أعتقد أن العينين لا تشبهان عينى (أكرم) بالفعل .

سألتها أمها :

- وما الذى توصلت إليه ؟

تنهدت (نشوى) قائلة :

- لا فائدة .. لا يمكن الحصول على تأكيد تام ، بكل هذا التكبير ، فبالإضافة إلى عدم وضوح التفاصيل ، تجد أيضًا أن الزاوية التى نراها لوجه الآلى ، تلقى الكثير من الظلال ، وتطمس البقية الباقية من التفاصيل .. صحيح أن الصورة تكفى لتمييز العينين البشريتين ، ولكن دون تفاصيل واضحة ، تكفى لتعرّف صاحبها .

هزت (سلوى) رأسها ، وقالت :

- ولماذا بذلت كل هذا الجهد ؟

أجابتها (نشوى) :

- لأننى واثقة من أن هذا الآلى ليس (أكرم) .. لقد شاهدته بنفسك فاقد الوعى .

أطلقت (سلوى) تنهيدة كبيرة ، وهى تستلقى على فراش ابنتها ، قائلة :

- لم أعد أثق بأى شىء يا (نشوى) .. لم أعد أثق حتى بما أراه بأم عينى .

قالت (نشوى) معترضة :

- ولكن أطباء المستشفى يؤكدون أن كل شىء يسير على ما يرام ، وبنسق ثابت منتظم ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، فسألتها (سلوى) :

- ماذا حدث ؟.. هل توصلت إلى شىء ؟

هتفت (نشوى) :

- بالتأكيد يا أماه .. لقد توصلت إلى حقيقة ، قد تقلب الأمر كله رأسا على عقب . وارتجت حروف كلماتها بانفعال جارف ، وهى تضيف :

- وسنكشف السر .. سر الآلى الزائف .

وانتقل انفعالها إلى (سلوى) .

* * *

١١ - فى كل اتجاه ..

شعر (محمود) بدهشة حقيقية ، وهو يستقبل (رمزى) ، فى الصباح الباكر ، ولكن هذا لم يمنعه من مصافحته بكل ود وحرارة ، وهو يسأله :

- هل عجزت عن النوم ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابا ، وقال :

- هناك أمر ما يشغلنى فى شدة .

سأله فى اهتمام ، وهو يقوده إلى أريكة قريبة :

- وما هو ؟

لم يستجب (رمزى) له ، وإنما راح يسير فى الحجرة فى توتر ملحوظ ، قبل أن يقول فى انفعال :

- لقد راجعت الموقف كله عشر مرات ، منذ غادرنا المستشفى أمس ، وأكاد أقسم إن (مشيرة) تؤمن تماما بكل حرف نطقت به .

سأله (محمود) فى دهشة :

- أتعنى أنها رأت (أكرم) بالفعل ، داخل زى الآلى ؟!

أجابه (رمزى) :

- تمامًا .. لقد رأت عينى (أكرم) ، أو أنها واثقة من هذا .

سأله (محمود) فى حيرة :

- وما الفارق ؟

أجابه (رمزى) فى توتر :

- فارق ضخم ياصديقى .

ثم أضاف فى انفعال :

- المهم أن هذا قد يدين (أكرم) ، على الرغم من ثقة الجميع ، فى سقوطه فى غيبوبة عميقة .

هتف (محمود) :

- أقسم إننى لم أعد أفهم شيئًا .

تنهّد (رمزى) ، قائلًا :

- ومَن يفهم ياصديقى ؟

حدّق (محمود) فى وجه صديقه بحيرة ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتف الفيديو فجأة ، فالتقط (محمود) سمّاعته فى حركة غريزية ، وتطلّع إلى شاشته والتى تحمل وجه (نشوى) ، وقال :

- صباح الخير يا (نشوى) .. هل استيقظتم جميعًا مبكرًا هذا الصباح ؟

أدهشه أنها لم تجب سؤاله ، وإنما سألته فى لهفة :

- أين (رمزى) ؟.. لقد اتصلت به ، ولكن هاتفه أحالنى آليًا إليك .

أجابها فى حيرة :

- ها هو ذا .

التقط منه (رمزى) سمّاعة هاتف الفيديو ، وهو يقول :

- هأنذا يا (نشوى) .. ماذا لديك ؟

أجابته بسرعة :

- من حسن حظى أن وجدتك يا (رمزى) ، فلقد توصّلت إلى نظرية جديدة ، بشأن قضية (أكرم) .

سألها فى لهفة :

- ما هى بالضبط ؟

أجابته :

- الأمر كله مجرّد خدعة يا (رمزى) .. خدعة كبيرة ، سقطنا فيها جميعًا .

سألها فى دهشة :

- ومن صاحب هذه الخدعة ؟ وما هى بالضبط ؟

لم تكد تخبره بما لديها ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة بالغة وهتف :

- أأنت واثقة من هذا يا (نشوى) ؟

أجابته في حرارة :

- إنه التفسير الوحيد ، ويمكننا التأكد منه بوسيلة بسيطة للغاية .

سألها (محمود) :

- ما هي ؟

أجابت في حزم :

- زيارة .. زيارة واحدة لحجرة العناية المركزة ، حيث يرقد (أكرم) .

وتضاعف الحزم في نبراتها ، وهي تستطرد :

- زيارة غير رسمية ..

* * *

نهضت الدكتورة (جيهان) تستقبل (نور) في حجرتها ، وهي تمد يدها لمصافحته ، قائلة في ضجر :

- مرحبا أيها الرائد .. هل تذكرت شيئا بعد انصرافك ؟

أجابها في برود :

- بل عثرت على شيء أكثر أهمية .

سألته في دهشة :

- أي شيء هذا ؟

أجابها وهو يدرس ملامحها وانفعالاتها بدقة :

- مشروع .. مشروع قديم ، راودتك الرغبة في إحيائه ، عندما أشرفت على علاج (أكرم) .

تطلعت في وجهه مرة أخرى ، وهي تقول في اضطراب :

- أي مشروع هذا ؟

أجاب في صرامة :

- مشروع (سيبورج) .

تراجعت في دهشة ، وهي ترتد :

- مشروع (سيبورج) ؟!.. وما الذي ذكرك بهذا ؟.. إنه مشروع قديم لم يكتمل ، و ...

قاطعها في حزم :

- معذرة يادكتورة (جيهان) ، ولكن المشروع لم يعد قديما ، بعد أن قررت أنت استخدامه مرة أخرى ، كمحاولة لإعادة (أكرم) إلى وعيه .

ارتبكت في شدة ، وهي تقول :

- هذا صحيح ، ولكن ..

قاطعها مرة أخرى :

- ولكن ماذا ؟.. لقد عرضت الأمر على الإدارة الطبية العليا ، منذ شهرين مضيا ، ولما لم يكن هناك أقارب لـ(أكرم) ، يتحتم

الحصول على موافقتهم ، كما كانت الغيبوبة التى أصابته شديدة العمق ، لا يحتمل معها عودته مرة أخرى إلى وعيه ، بالوسائل العادية ، فقد أرسلت الإدارة الطبية العليا موافقتها على إحياء مشروع (سيبورج) ، بعد عشرة أيام فحسب ، ومن هذا المنطلق أرسلت أنت طلبًا إلى المخازن الإليكترونية ، للحصول على كل المعدات اللازمة .

هتفت (جيهان) :

ـ ولكنهم لم يرسلوا شيئًا .

قال فى حزم :

ـ خطأ يا سيدتى .. لن يفيد الكذب والإنكار الآن ، فالأوراق الرسمية كلها تؤكد أن كل ما طلبته وصل بالفعل إلى مخازن المستشفى ، منذ شهرين ونصف الشهر ، و ...

قاطعته صارخة :

ـ كذب .. الإدارة لم ترسل شيئًا .

قال (نور) فى حدة :

ـ بل أرسلت ، وأنت استغللت ما أرسلته ، لتحويل (أكرم) إلى شخص نصف آلى ، يخضع لأوامرك ، ويقوم بتنفيذ مخطط خاص ، يحقق أغراضك الشخصية ، دون أن يعى ما يفعل .

صاحت (جيهان) :

ـ أنت مجنون .. مجنون حتمًا .. أتدرك ما يعنيه مشروع (سيبورج) هذا ؟.. أتظن أنه من السهل أن أعمل على تنفيذه ، دون فريق طبى كامل متكامل ، وإعداد طويل ، وإمكانيات جراحية رهيبة ؟.. إنها ليست لعبة أيها الرائد ، بل معجزة جراحية كاملة .. ألا تفهم كيف يمكن تحويل بشرى إلى شخص نصف آلى ؟!.. هذا يحتاج إلى إخصائى فى جراحة الأعصاب ، وآخر فى جراحة العظام ، وثالث لجراحات التجميل ، ومهندس طبى متخصّص ، ورعاية كاملة لعام على الأقل .. كيف تصوّرت أننى أستطيع صنع كل هذا بمفردى ؟!

تجمّدت مشاعر (نور) كلها دفعة واحدة ، أمام قولها هذا ..

كانت على حق فى كل حرف نطقت به ..

إنها لا تستطيع بالفعل صنع كل هذا وحدها ..

كيف لم يفكّر فى هذا ؟!..

لقد جرفته مشاعره وانفعالاته ، دون أن يدرس موقفه جيدًا ..

كيف سقط فى هذا ؟!..

كيف أخطأ إلى هذا الحد ؟!..

ولكن أين ذهبت أدوات مشروع (سيبورج) ؟

نقل هذا السؤال مباشرة ، من عقله إلى لسانه ، فهتفت الدكتورة (جيهان) فى حنق :

- ومن أدرانى ؟!.. سل من يهمه الأمر .
انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
- أنت على حق .
وغادر حجرتها فى حدة ، واندفع عبر ممرات المستشفى إلى المخازن ، وأبرز بطاقته الخاصة لمديرها (وليد سالم) ، وهو يقول :
- أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية .. أريد الاطلاع على رصيد المخازن ، من بعض الأدوات التعويضية الإليكترونية الخاصة .
رمقه (وليد) بنظرة جافة باردة ، وهو يقول :
- هذا يحتاج إلى تصريح خاص .
أشار (نور) إلى هاتف الفيديو المجاور للرجل ، وهو يقول :
- اطلبه إذن .
ابتسم (وليد) فى سخرية ، وقال :
- أتظن الأمر سهلا إلى هذا الحد ؟
التقط (نور) سماعة الهاتف ، وهو يقول فى صرامة :
- نعم .. أظنه كذلك .
استعاد (وليد) سماعة الهاتف فى حدة ، وهو يقول :
- ما الذى تريد مراجعته بالضبط ؟

أجابه (نور) :
- أدوات مشروع (سيبورج) .
جمدت نظرات الرجل بغتة ، وبدا فى بروده أشبه برجل آلى ، وهو يجيب :
- ليس لدينا شىء بهذا الإسم .
قال (نور) فى برود أشد :
- حقًا ؟!
ثم ضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، و(وليد) يهتف به :
- ماذا تفعل ؟!.. ليس هذا من حقك .
ولكن (نور) كان قد انتهى من تحديد الرقم الكودى للمشروع ، قبل أن يبعد (وليد) يده عن لوحة الأزرار ، وارتسمت على الشاشة الفيروزية فى سرعة كلمات تقول :
- أدوات المشروع تم صرفها بالكامل .. رصيد مشروع (سيبورج) يساوى صفرًا .
التفت (نور) إلى (وليد) ، وقال فى صرامة :
- أين ذهبت أدوات المشروع يا رجل ؟
عادت نظرات (وليد) تتجمد ، وهو يقول :
- سأخبرك ، مادمت ترغب فى معرفة هذا .
رآه (نور) يدس يده فى درج مكتبه ، فتراجع فى حركة حادة ،



وكان (نور) هو الأسبق ، فى إطلاق أشعة مسدسه ..
وطار المسدس من يد (وليد) ..

وانتزع مسدسه الليزرى ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (وليد) مسدسه الليزرى بدوره ..

وكان (نور) هو الأسبق ، فى إطلاق أشعة مسدسه ..
وطار المسدس من يد (وليد) ..

ولكن الرجل تحوّل فجأة إلى وحش كاسر ، وهو يصرخ :

ـ ستموت .. ستموت .

وقفز عبر مكتبه قفزة مدهشة ، ثم انقضّ على (نور) فى شراسة مخيفة ..

وكان من الممكن أن يقتله (نور) بطلقة واحدة ، من مسدسه الليزرى ..

ولكن من المستحيل أن يفعل (نور) هذا ..

من المستحيل أن يقتل رجلًا أعزل ..

وبرشاقة كبيرة ، قفز (نور) جانبًا ، وتفادى انقضاضة (وليد) ، ثم كال لهذا الأخير لكمة كالقنبلة ، وهو يهتف :

ـ لقد كشفت أمرك يا صاح .

أصابت اللكمة فك (وليد) مباشرة ، وألقته على ظهره فى عنف ، ولكنه هبّ واقفًا فى حركة سريعة ، وتجمّدت عيناه على نحو مخيف ، وهو يكرّر :

ـ ستموت .. ستموت .

وبحركة عنيفة مباغتة ، ركل المسدس الليزرى من يد (نور) ، ثم جذب هذا الأخير من قميصه ، وضرب ظهره بالحائط فى قوة ..

كان قويًا ، ممشوقًا ، مفتول العضلات ، وكان يقاتل فى وحشية وشراسة عجيبتين ، مما جعل (نور) يدافع عن نفسه فى استماتة ، محاولًا الدفاع عن حياته ، فدفع ركبته فى معدة (وليد) ، صائحًا :

- لا فائدة من كل هذا يا رجل .. استسلم ، فهذا أفضل لك .

تلقى (وليد) الضربة فى معدته ، وانثنى لحظة ، ثم اعتدل فى سرعة ، وعاد يجذب (نور) إليه ، ويضربه بالحائط فى سرعة وعنف ، مكررًا الكلمة نفسها :

- ستموت .. ستموت .

كان مظهره أقرب إلى الوحش الكاسر بالفعل ، والزبد يسيل على شدقيه ، وعيناه تدوران فى محجريهما فى جنون ، فكال له (نور) لكمتين متتاليتين فى معدته ، وثالثة فى فكه ، صائحًا :

- هل جننت يا رجل ؟

أطلق (وليد) صيحة وحشية ، وهو يدور حول نفسه ، ويرفع (نور) عن الأرض فى قوة ، ثم يلقيه بعيدًا فى عنف ...

وارتطم (نور) بمكتب (وليد) ، وسقط مع جهاز الكمبيوتر

أرضًا ، وانفجرت الشاشة فى دوى عنيف ، فى حين انقض (وليد) عليه مرة أخرى ، وهو يصرخ فى لهجة أشد جنونًا :

- ستموت .. ستموت .

ثم رفع (نور) من الأرض فى عنف ، وألقاه مرة أخرى على الحائط ، وشعر (نور) بآلام مبرحة فى عظامه ، من أثر الارتطام الشديد ، ورأى (وليد) يندفع نحوه مرة أخرى ، فقفز جانبًا ، وهو يهتف :

- لقد جننت حتمًا .

ثم هب واقفًا على قدميه ، ولكم (وليد) لكمة عنيفة ، تلقاها الرجل كجدار من صخر ، ثم هوى بقبضته على (نور) ، فى لكمة كالقنبلة ، جعلت (نور) يرتطم بالمكتب مرة أخرى ، ثم يسقط بين أسلاك الكمبيوتر المحطم ..

وفى هذه المرة اشتبكت ثياب (نور) بالأسلاك ، ورأى (وليد) ينحنى ليلتقط مسدسه الليزرى ، ثم يصوبه إليه بعينين زائغتين ، وفم يسيل منه زبد وحشى ، وهو يقول فى شراسة جنونية :

- ستموت .. ستموت ..

ولم يكن هناك مفر هذه المرة ..

* * *

١٢ ـ غيبوبة ..

تسلل (رمزى) و(محمود) مع (نشوى) ، عبر أروقة المستشفى ، إلى حجرة العناية المركزة ، وهمس (محمود) فى توتر ، وهو يقترب من باب الحجرة ، المزوّد برتاج أمن إليكترونى :

ـ كيف سيمكننا عبور هذا الباب ؟.. الأطباء وطاقم التمريض وحدهم يمكنهم هذا ، بوساطة بطاقاتهم المغنطيسية .

أخرجت (نشوى) من جيبها بطاقة مغنطيسية صغيرة ، تتصل بكمبيوتر جيب دقيق ، وهى تقول :

ـ لقد وجدت وسيلة لهذا .

ودسّت البطاقة فى التجويف الخاص ، ثم ضغطت أزرار كمبيوتر الجيب فى سرعة ، وراقبت الباب فى قلق ، فسألها (رمزى) :

ـ هل يمكن أن ينجح هذا ؟

هزّت رأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنه برنامج ، يجرى مجموعة من العمليات الحسابية

الدقيقة ، فى محاولة للتوصّل إلى الشفرة المغنطيسية الخاصة ، التى يمكنها فتح الباب .

مضت لحظات من الصمت والقلق والتوتر ، ثم أصدر الرتاج صوتًا مكتومًا ، وانفتح الباب فى خفوت ، فدفعته (نشوى) بسرعة ، ودلفت مع (رمزى) و(محمود) إلى الداخل ، وأغلق (رمزى) الباب خلفه ، وهو يلقى نظرة سريعة على (أكرم) ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، قبل أن يغمغم :

ـ كيف يمكن تصديق أن هذا الرجل ليس غارقًا فى غيبوبة حقيقية ؟!

قالت (نشوى) ، وهى تفتح باب الحجرة المجاورة ، حيث أجهزة التحكّم فى قياسات النبض والضغط والحرارة ، وإشارات المخ وغيرها ، ثم أخرجت جهاز الكمبيوتر الصغير ، وانهمكت فى توصيله بالكمبيوتر الرئيسى ، و(محمود) يلقى بدوره نظرة طويلة على (أكرم) ، من النافذة الأخرى ، ثم قال :

ـ عجبًا !.. كل شىء يبدو لى على ما يرام ، وسيدهشنى بشدة أن يكون هذا الشاب مستيقظًا !

قال (رمزى) :

ـ ما يقلقنى أنا يختلف ، فلو أثبتت (نشوى) نظريتها ، واتضح أن (أكرم) هو ذلك الآلى بالفعل ، فسيقودنا هذا إلى نقطة

أخرى ، بالغة الدقة والخطورة ، إذ ينبغي أن نعلم ما إذا كان (أكرم) يفعل هذا بإرادته ، أم أن شخصًا ما يسيطر على إرادته ، ويدفعه إلى القيام بهذا ، على الرغم منه ؟

سأله (محمود) في قلق :

- ومن يكون هذا الشخص ؟

هز (رمزى) كتفيه ، وقال :

- من يدرى ؟

هتفت (نشوى) فجأة ، منتزعة إياهما من حديثهما :

- لقد كنت على حق .

التفتا إليها في لهفة ، فأضافت :

- كل هذه الإشارات ، التي تسجلها الأجهزة ، زائفة ، ولا أساس لها من الصحة .. لقد أوصل أحدهم كل الأجهزة مع الكمبيوتر الرئيسي ، ببرنامج خاص ، يحافظ على الإشارات وانتظامها ، بحيث يبدو (أكرم) كما لو كان غارقًا في غيبوبة عميقة ، حتى ولو لم يكن كذلك بالفعل .

هتف (رمزى) :

- رباه .. إذن فالآلى هو (أكرم) بالفعل ، ولكن كيف يـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق عبر النافذة الزجاجية السميكة ، في فراش (أكرم) ، فرفع (محمود) و (نشوى) عيونهما إلى حيث

ينظر ، وأطلقت (نشوى) شهقة قوية ، في حين شحب وجه (محمود) ، وهو يهتف :

- يا إلهى !..

كان المشهد أمامهما يستحق كل هذا بالفعل ، فقد كان كل شيء بالحجرة كما هو ، والآلات كلها تعمل في انتظام ، والشاشات ترسم نفس الخطوط الثابتة باستثناء شيء واحد بالغ الأهمية .. (أكرم) نفسه ..

لم يكن يرقد على الفراش ..

ولم يكن له أدنى أثر في الحجرة كلها ..

مطلقًا ..

* * *

زفر الدكتور (ناظم) في مرارة ، وهو يراجع بعض البيانات ، التي ارتسمت على شاشة الكمبيوتر ، وقال في أسف :

- ها هي ذي قائمة الأشياء ، التي سرقها ذلك الآلى ، من الأماكن المختلفة التي هاجمها .

غمغم القائد الأعلى

- لقد سرق الكثير .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ أخطر ما حصل عليه هو مدافع الليزر الصغيرة ، ذات القوة التدميرية الهائلة ، وقنابل الدخان ، و ...

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستطرد بصوت مرتجف :

ـ والقنبلة النووية .

زفر القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف علم بوجودها .. لقد كنا نحتفظ بها فى مخزن الأسلحة التقليدية ، داخل حجرة المظلات ، فى محاولة للتمويه ، حيث كان من المستبعد أن يخطر هذا المكان ببال أى مخلوق .

ضرب الدكتور (ناظم) راحته بقبضته ، قائلاً فى أسى :

ـ ولكنه عرف مخبأها ، وحصل عليها .

لوّح القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

ـ هذا يجعله وحده أشبه بجيش متكامل .

قال الدكتور (ناظم) فى مرارة :

ـ بل يجعله الأكثر قوة .

زفر القائد مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا يفرض ضرورة تلافى المواجهة المباشرة معه ، والعمل على الإيقاع به بالوسائل الأخرى .

رفع الدكتور (ناظم) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ هل أبلغ هذا لـ(نور) وفريقه ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد .. المهم أن يمكنهم تنفيذه ..

ولم يدرك القائد لحظتها أنه من الأهم أن تجد الرسالة (نور) وفريقه ..

وعلى قيد الحياة ..

* * *

شحب وجه (نشوى) ، وهى تحدق فى الحجرة الخالية ، قبل أن تهتف :

ـ أين ذهب (أكرم) ؟.. كيف غادر الحجرة ، دون أن نشعر بهذا ؟

قال (محمود) بصوت مضطرب :

ـ يبدو كما لو أنه قد اختفى بغتة .. لقد كنت أتطلع إليه منذ دقيقة واحدة ، وفى الدقيقة التالية لم يكن هناك أدنى أثر له .

لوّح (رمزى) بكفه ، وقال :

ـ المدهش أكثر أن هذا الباب هو المدخل الوحيد للحجرة ، فكيف غادرها دون عبوره ؟

لم يجد أحدهم جوابًا لسؤاله ، وراحوا يحدقون فى الحجرة

الخالية بدهشة بالغة ، حتى انتفض جسد (نشوى) فجأة ، وهى تلتفت إلى الجدار المجاور ، هاتفة :

ـ ما هذا ؟!

كانت قد شعرت بتلك الحركة الخافتة ، قبل أن تلتفت إليها ، وعندما استدار (رمزى) و (محمد) ليحدقا فى الجدار نفسه ، كانت الحركة قد تطورت ، وأصبحت أكثر وضوحًا ..

وفى بطء ، انفصل ذلك الجزء من الحائط ..

أو ظهر فى وضوح ..

وكواحدة من الخدع السينمائية الهولوجرافية المتقنة ، تبدلت ألوان ذلك الجسم فى سرعة ، وتخلى عن محاكاته للون وشكل الحائط ، ليتخذ شكله الآلى المخيف ..

وانتصب ذلك الجسم المعدنى الممشوق ، أمام عيون الثلاثة ..

وحدقت آلتا تصوير الفيديو فيها ..

وفى ذعر هتف (محمود) :

ـ إنه هو ..

وفى حركة سريعة مباغتة ، ضرب الآلى صدر (محمود) ، الذى أطلق شهقة قوية للغاية ، قبل أن يرتطم بالحائط فى عنف ، ثم يسقط فاقد الوعى ، وتتدحرج منظاره الطبى عند قدمى الآلى ، فصرخت (نشوى) :

ـ ماذا فعلت بـ(محمود) ؟

التفت إليها الآلى فى بطء ، ثم خطا نحوها ، وسحقت قدمه الثقيلة منظار (محمود) سحقًا ، فقفز (رمزى) يحميها بجسده ، هاتفًا :

ـ لن تمسّ شعره واحدة منها .

جذبه الآلى من قميصه بغتة ، ورفعه فى سهولة ، ثم ألقاه نحو الجدار الذى جاء منه فى قوة ، وارتطم به (رمزى) فى عنف ، ثم سقط على وجهه ..

وكانت آلامه رهيبة ..

ولكن حبه لـ(نشوى) كان يفوق كل الآلام ..

وكل المشاعر ..

وبكل هذا الحب ، هبّ (رمزى) واقفًا على قدميه ، وانقضّ مرة أخرى على الآلى ، وقفز يتعلق بعنقه من الخلف ، صائحًا :

ـ لن أسمح لك .

أدار الآلى يده خلف ظهره بحركة سريعة ، وانتزع (رمزى) عن مكانه ، بقوة تفوق قوة البشر ، ثم قذفه نحو النافذة الزجاجية السميكة ..

وارتطم (رمزى) بالنافذة فى قوة ، ثم هوى فوق أجهزة

التحكم ، وسقط أرضا ، ودار رأسه فى قوة ، فى حين التصقت (نشوى) بالحائط ، وصرخت فى ارتياع :

- النجدة .. النجدة .

حاول (رمزى) أن ينهض لنجدتها مرة أخرى ، ولكنه عجز هذه المرة تماما ، وتفجرت المرارة فى أعماقه ، عندما رأى الآلى يصوب مدفعه الليزرى الدقيق نحو (نشوى) ، التى صاحت :

- لا .. لا تقتلنى .

ولكن الآلى لم يتردد لحظة واحدة ..

وأطلق الأشعة القاتلة .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(الانفجار الحى) .

روايات
مصرية للجيب



٨٨

ملف المستقبل
سري جدا!؟

الانفجار الحى


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ الخطر ..

بدا المستشفى المركزى فى ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، هادئًا ، يسير العمل فيه بوتيرة ثابتة ، وممراته شبه خالية ، لا يعبرها سوى طبيب يتجه إلى قسم المرضى ، أو حجرة العمليات الجراحية ، أو ممرضة تدفع أمامها مريضًا مقعدًا ، أو رجل أمن يتفقد المكان ..

وكان من العسير تصوّر ما يحدث داخل بعض حجرات هذا المستشفى ..

أو حتى معرفة السبب فيما يحدث ..

وهذا السبب لم يكن مرحليًا أو عشوائيًا ..

إنه نتاج عملية بحث غامضة وعجيبة ، بدأت منذ يومين فحسب ، عندما اقتحم آلى مخيف مخزن الإليكترونيات الرئيسى ، وقتل حراسه الأربعة ، ثم استولى على عدد من الأجهزة الإليكترونية ، واختفى ..

وعندما بدأ (نور) وفريقه التحقيق فى الأمر ، بدا لهم الموقف كله غامضًا ومخيفًا ، وخاصة بعد أن بدأ الآلى هجومه الثانى ، بعد ساعات قلائل ، واقتحم شبكة (أنباء الفيديو) ، وكاد يقتل (مشيرة محفوظ) ، التى أصابها انهيار عصبى حاد ..

وتوتر الموقف أكثر ، مع الهجوم الثالث ، الذى ضاعف فيه

الآلى قوته ، واستولى على أحدث حزام طيران متطوّر ، ثم استخدمه مع قدراته الأخرى ، لمباغتة مخزن الأسلحة الخاص بوزارة الدفاع ، والاستيلاء على عدد من أسلحة الليزر المتطوّرة ، والقنابل ، و ..

وقنبلة نووية خاصة ..

وهنا انكشف سر الانهيار العصبى ، الذى أصاب (مشيرة)

لقد تعرّفت عينى الآلى البشريتين ..

وكانتا عينى (أكرم) ..

ومع المفاجأة المدهشة ، انتقل الفريق كله إلى المستشفى ، لرؤية (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى يرقد فى حجرة العناية المركّزة ، وأكدت الدكتورة (جيهان) ، المشرفة على علاجه ، وخطيبها الدكتور (هيثم) إخصائى الأمراض النفسية ، أن (أكرم) يرقد فى غيبوبة حقيقية ، كما تشير الأجهزة المتصلة بجسده ..

ولكن (نور) توصّل إلى حقيقة جديدة ..

لقد حاولت الدكتورة (جيهان) إحياء مشروع جديد ، يعتمد على تحويل (أكرم) إلى شخص نصف آلى ..

وعاد (نور) إلى المستشفى ، ليكتشف هذا الأمر ، والتقى بمدير مخازن المستشفى (وليد سالم) ، الذى حاول منع (نور) من كشف الأمر ، ثم تفجّر بثورة جنونية ، عندما كشف (نور) أن شخصا ما قد استولى على كل أدوات المشروع ، ومن ثورته انقض على (نور) ..

وكان صراعا عنيفًا ..

وفى الوقت نفسه كانت (نشوى) قد توصلت إلى نظرية

جديدة ، قد تثبت أن (أكرم) هو نفسه ذلك الشخص ، نصف الآلى ، على الرغم مما تشير إليه الأجهزة كلها ، من كونه فى غيبوبة عميقة ..

واصطحبت (نشوى) (رمزى) و (محمود) إلى المستشفى ، ونجحت فى إثبات جزء من نظريتها ، عندما فوجئ الثلاثة باختفاء (أكرم) من سريره ..

ثم ظهر الآلى فجأة ..

وبعد صراع قصير وعنيف ، سقط الثلاثة أمام الآلى ، وشاهده (رمزى) يستعد لإطلاق أشعة الليزر القاتلة نحو (نشوى) ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا كان (وليد) يصوّب مسدسه الليزرى إلى رأس (نور) ، فى ثورة وجنون عارمين ، والآلى يصوّب مدفعه الليزرى ، المثبت فى زراعه نحو (نشوى) ..

ولم يكن هناك مفر من الموت(*) ..

* * *

شعر (نور) بتوتر بالغ ، وهو يواجه المسدس الليزرى ، الذى يصوّبه إليه (وليد) ، وحاول تخليص نفسه من تلك الأسلاك ، التى كبّلت حركته ، فى حين صاح (وليد) بعينين زائغتين ، وفمه يسيل منه زبد جنونى :

ـ ستموت .. ستموت ..

وبدا لـ (نور) أنه ما من أمل فى النجاة هذه المرة ..

لولا ما حدث ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (نصف آلى) .. المغامرة رقم (٨٧) .

لقد اقتحم رجلان من رجال الأمن الحجرة ، وصاح أحدهم فى دهشة :

ـ أستاذ (وليد) .. ماذا يحدث هنا ؟ !

استدار إليه (وليد) فى حركة سريعة ، وأطلق زمجرة مخيفة ، قبل أن يندفع خيط الليزر القاتل من مسدسه ، ويخترق صدر الحارس ، الذى ارتطم بالباب فى عنف ، وتفجّرت الدماء من جرحه ، فاستلّ الحارس الثانى مسدسه الليزرى بسرعة ، وصرخ (نور) فى اللحظة نفسها :

ـ لا .. لا تقتله .

ولكن (وليد) أدار فوهة مسدسه نحو الحارس الثانى ، وهو يطلق زمجرة رهيبة مخيفة ..

وهنا أطلق الحارس مسدسه الليزرى ..

أطلق مرة ، وثانية ، وثالثة ، مع صرخات (نور) :

ـ توقف .. لا تقتله .

ولكن خيوط الأشعة الثلاثة اخترقت رأس (وليد) وقلبه وصدره ..

ودار الرجل حول نفسه ، مطلقًا صرخة مدوية ، ثم سقط فوق جسد (نور) جثة هامدة ..

ولثوان ران صمت عجيب على الحجرة ، والحارس يحدّق فى جثة (وليد) ، وذلك المزيج من الذعر والدهشة لم يفارقه بعد ، فى حين خلّص (نور) ذراعه من الأسلاك ، ودفع جثة (وليد) ، وهو يهتف محنقًا .

ـ لقد قتلته يا رجل .

ارتبك الحارس فى شدة ، وهو يقول :

ـ لم يترك لى الفرصة يا سيّدى .. لقد رأيت كل شىء بنفسك .

قال (نور) فى مرارة :

ـ هذا لا يمنحك الحق فى قتله يا رجل .. أطلق الأشعة على قدميه أو ساقيه ، أو على كفيه ، ولكن لا تلجأ إلى قتله دون تفكير .

قال الحارس وقد تضاعف ارتباكه :

ـ لم يكن هذا سهلًا يا سيّدى .. لقد سمعت أنا وصديقى دويًا عنيفًا ، داخل الحجرة ، فأسرعنا إلى هنا ، وشاهدنا الأستاذ (وليد) يصوّب إليك مسدسه ، ثم فوجئنا به يطلق أشعته على زميلى ، ولم يكن من الممكن ، بعد كل هذا ألا أدافع عن نفسى ، وهو يطلق هذه الزمجرة المخيفة ، ويحاول قتلى .

زفر (نور) فى حدة ، قائلاً :

ـ إنه القدر إذن .

ثم أضاف مشيرًا إلى الحارس الملقى أرضًا :

ـ أسرع بطلب طاقم الإسعاف إذن ، فربما كان زميلك على قيد الحياة .

هتف الحارس :

ـ أنت على حق .

وأسرع يطلب طاقم الإسعاف ، وقبل أن ينتهى من محادثته الهاتفية معهم ، دوى فى المكان صوت صفارة إنذار ، وصدر أزيز متقطع من جهاز صغير ، يحمله الحارس فى حزامه ، فهتف فى توتر ودهشة :

ـ ماذا يحدث فى المستشفى اليوم ؟ ! هناك طوارئ فى قسم العناية المركزة !

هتف (نور) :

ـ العناية المركزة ؟ !

نطقها واندفع بكل سرعته نحو قسم العناية المركزة ، وهو يشعر فى أعماقه أن هذه الطوارئ تتعلق بالقضية نفسها .. قضية الآلى ..

* * *

مع كل عجزه وألمه ومرارته ، أطلق (رمزى) شهقة قوية ، امتزجت بالصرخة المدوية ، التى انطلقت من حلق (نشوى) ، عندما أطلق الآلى حزمة أشعة الليزر القاتلة نحوها ، وهى ترفع ذراعيها بحركة غريزية ، لتحمى وجهها وصدرها ..

ولكن الأشعة لم تصب ذرة واحدة من جسدها ..

لقد تجاوزتها بسنتيمترات قليلة ، وهوت على النافذة الزجاجية السميكة ، أو بمعنى أدق على إطارها المعدنى ، فنسفته نسفًا ، وانفجر الزجاج نفسه فى عنف ، وتناثرت شظاياه فى الحجرة كلها ، وسقطت على رأس (رمزى) ، الذى حمى رأسه بذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ (نشوى) .. (نشوى) .

واختلطت صرخته بدوى الإنذار ، الذى ملأ الحجرة والمكان كله ، فور تحطم الزجاج ، وسمع (نشوى) تصرخ وتصرخ ..

وأمام عينيه الزائغتين ، رأى (نشوى) تسقط فاقدة الوعى ، والآلى يلتصق مرة أخرى بالحائط ، ثم يتلون جسده فى سرعة ، فيصعب تمييزه عن الحائط ، و ..

ويختفى ..

ومع اختفائه أظلمت الدنيا أمام عينى (رمزى) ..

وشارك (نشوى) غيبوبتها ..

ولم تمض لحظات ، حتى اقتحم (نور) الحجرة ، مع رجال الأمن ، وهتف فى انزعاج :

ـ (نشوى) .. (رمزى) .. (محمود) .. ما الذى جاء بهما إلى هنا ؟ !

انحنى يفحصهم فى جزع ، وترك رجال الأمن يفحصون النافذة المحطمة ، فى حين وصلت (جيهان) وشهقت فى هلع ، وهى تنظر إلى كل ما أصاب الحجرة من الدمار ، وصاحت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! .. لقد تحطم كل شىء .. إنهم يقتلون المريض .

لحق بها فريق من الأطباء بعد لحظات ، واستعادت (نشوى) وعيها نسبيًا ، فغمغمت بين ذراعى والدها :

ـ (أكرم) ! (أكرم) ..

سألها فى جزع :

ـ ماذا به يا (نشوى) ؟ .. ماذا تقصدين بذكر اسمه ؟

تشبثت بذراعه لتنهض ، وهى تقول :

ـ كل هذا كان مجرد خدعة .. (أكرم) هو المسئول .. لقد كشف نفسه .

أدار (نور) عينيه فى دهشة إلى فراش (أكرم) ، الذى التف حوله طاقم الأطباء ، وقال :

ـ كيف يا (نشوى) ؟

أشارت إلى الفراش ، هاتفة :

ـ لقد هرب ، و ..

بترت عبارتها ، وهى تحدق فى الفراش ذاهلة ..

لقد كان (أكرم) هناك ..

فى غيبوبة عميقة .

* * *

٢ ـ الخسارة..

استمعت الدكتورة (جيهان) إلى حديث (نشوى) و (رمزى) فى اهتمام وحيرة ، ثم لم تلبث أن هزت رأسها ، قائلة :

ـ لا شك أن هذا أمر مثير للدهشة والحيرة معًا ، ومن المؤكد أنكما رأيتما الفراش خاليا بالفعل ، أو أنكما تؤمنان بهذا تمامًا ، ولكن طاقم الأطباء كله يجزم بأن (أكرم) فاقد الوعى بالفعل ، كما أن مهندسى الصيانة فحصوا برنامج الكمبيوتر جيدًا ، ويؤكدون أنه لا يتدخل فى عمل أجهزة الفحص الحيوى مطلقًا .

هتفت (نشوى) :

ـ مستحيل ! .. لقد فحصت البرنامج بنفسى ، وكلنا رأينا فراش (أكرم) خاليا .

قال (رمزى) فى خفوت :

ـ هذا صحيح .

عادت الدكتورة (جيهان) تهز رأسها ، وهى تقول :

ـ ولكن لا حاجة مطلقًا إلى وجود برنامج كمبيوتر خاص ، فـ(أكرم) فاقد الوعى بالفعل ، ولقد تم نقله إلى حجرة عناية مركزة أخرى ، بعد الدمار الذى أصاب حجرته ، ومع عملية النقل هذه ، قام فريق الأطباء كله بإعادة فحصه ، للاطمئنان على حالته ، وجاءت نتيجة الفحص لتؤكد عدم قدرته على استعادة وعيه فى الوقت الحالى .

تبادل (نور) نظرة حائرة ، مع (نشوى) و (رمزى) ، ثم قال فى حزم :

ـ وعلى الرغم من هذا فقد أصيب (محمود) ، فى قتاله مع ذلك الآلى ، وحاول مدير المخازن هنا قتلى ، وكاد ينجح فى هذا ، لولا وصول رجال الأمن ، ثم اختفى الآلى داخل المستشفى ، كما لو كان قد تبخر .

قالت (جيهان) فى ضيق :

ـ إصابة زميلكم بسيطة ، وسيتعافى بعد يومين على الأكثر ، وهذا الآلى لم يمكنكم منعه من الفرار ، من مخازن وزارة الدفاع ، فمن الطبيعى إذن أن ينجح فى الهروب من مستشفى عادى ، أما ما يقلقنى بالفعل ، فهو موقف (وليد) ، فلم أتخيله أبدا عنيفا قاسيا وحشيا ، إلى الحد الذى وصفته أيها الرائد .

سألها (نور) :

ـ هل كان دائما هادئا سويا ؟

هزت رأسها نفيا ، وهى تقول :

ـ لا ! .. لم يكن كذلك .

مط (هيثم) شفتيه ، وقال فى ازدراء :

ـ كان حقيرا .

رمقته (جيهان) بنظرة غاضبة ، قبل أن تواصل :

ـ كان دائما سخيفا ، باردا ، يفتقر إلى الذوق واللياقة ، ويتباهى بقوته البدنية ، وعضلاته المفتولة .

التفت (نور) إلى (هيثم) وسأله :

ـ وهل تبغض أنت أصحاب السواعد المفتولة ؟

هزّ (هيثم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، ولكننى أكره الرجل الوقح ، الذى يغازل النساء دون أدب أو لباقة .

قال (جيهان) فى عصبية :

ـ كفى يا (هيثم) .

ثم أضافت موجهة حديثها إلى (نور) :

ـ لقد كان (وليد) يغازلنى علانية ، وهذا ما جعل (هيثم) يكرهه .

لوّح (هيثم) بذراعه ، هاتفًا :

ـ إنه لا يستحق حتى أن أكرهه .. إنه مجنون متخلف همجى .. لقد أردت فصله ، فى أثناء الفحص النفسى السنوى ، عندما كشفت ساديته وعدوانيته ، ولكننى خشيت أن يتهمونى بالتعسف معه ، بعد موقفه معك .

قال (نور) فى مرارة :

ـ ليتك فعلت ، قبل أن يستولى على أدوات مشروع (سيبورج) ، التى نجهل تمامًا من حصل عليها ، واستغلها فى صنع ذلك الآلى ، أو الذى شبه الآلى ، الذى يسبب لنا كل هذه المتاعب .

قالت (نشوى) :

ـ ولكن المؤكد أن (وليد) لم يكن ذلك الآلى ، أو نصف الآلى ، فقد قتله حارس الأمن ، فى نفس اللحظة التى كان الآلى يهاجمنا فيها .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكننا لم نفحص الحجرة المحطمة بعد ، وربما يسفر فحصها عن مفاجأة جديدة .

وأدار عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يكرّر :

ـ ربما ! ..

* * *

استغرق فحص الحجرة المحطمة وقتًا أطول مما توقع الجميع بكثير ، فقد أصرّ (نور) على فحص كل ذرة فيها ، والتقاط عشرات الصور الهولوجرافية والضوئية ، من كل الزوايا الممكنة ، قبل أن يمس أى مخلوق أى شىء بالحجرة ..

وبعد حوالى ساعة كاملة ، تنفس خبير المعمل الجنائى الصعداء ، وهو يقول :

ـ لا توجد أى آثار للآلى أيها الرائد ، فيما عدا آثار أقدامه المعدنية الثقيلة ، عندما كان يلتصق بالحائط .

سأله (نور) فى أهتمام :

ـ وماذا عن الإطار المحطم ؟

قال الرجل :

ـ أتقصد إطار النافذة الزجاجية ، التى تربط ما بين ..

قاطعه (نور) فى أهتمام :

ـ نعم ! .. هذا ما أقصده بالضبط .

هزّ الرجل رأسه ، وهو يقول فى حيرة :
ـ لماذا تثير النافذة وإطارها اهتمامك ، إلى هذا الحد ؟ !
إنها المرة الثالثة ، التى تسأل فيها عنها ، وعن نتائج فحصها
بدا شىء من الصرامة على وجه (نور) ، وهو يجيب :
ـ لقد أطلق ذلك الآلى أشعته على إطار النافذة ، وحطّمه ، دون
أن يكون هناك مبرّر عملى لهذا ، مما يوحى بأنه كان يسعى
لتحطيم شىء ما يتصل بها ، أو يلتصق بإطارها ، وهذا الشىء
حتمًا يكشف بعض أسراره .
تنهّد الرجل ، قائلاً :
ـ أفكارك دائمًا عجيبة أيها الرائد ، ولكن لا يمكننى أن أقول
أنك واهم أو خيالى ، فتاريخك كله يثبت عكس هذا تمامًا ، ولكننى
فى الوقت نفسه أعجز عن إجابة سؤالك ، فالمكان يكتظ بقطع
إليكترونية صغيرة محطّمة ، تنتشر فى كل مكان ، ومن المستحيل
أن أحدد ما الذى ينتمى إلى الأجهزة المحطّمة من غيره .
قال (نور) :
ـ أنت على حق ! .. هذا يحتاج إلى خبراء .
وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يتابع فى حزم :
ـ خبراء من نوع خاص ..

* * *

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تحدق فى كومة

الأجهزة الإلكترونية المحطّمة ، قبل أن تهتف :
ـ أى مطلب هذا يا (نور) ؟ ! .. هل تريد منا إعادة هذا
الحطام للعمل ؟
هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :
ـ لم أطلب هذا يا (سلوى) ، وإنما أريد منكم أن تجمعوا القطع
والأجزاء الخاصة بكل جهاز على حدة ! .. وبمنتهى الدقة
والاهتمام ، بحيث يمكن حصر أية أجزاء إضافية ، يحتمل
وجودها وسط هذا الحطام .
سألته (نشوى) فى اهتمام :
ـ وما الغرض من هذا ؟
صمت لحظة قبل أن يجيب :
ـ أريد التيقن من أنه لم تكن توجد سوى الأجهزة الرسمية ، فى
حجرة (أكرم) .
أدركت (نشوى) غرضه على الفور ، فهتفت فى حماس :
ـ فكرة رائعة .
أضافت (سلوى) :
ـ ولكنها تحتاج إلى أسبوع كامل على الأقل .
أجابها (نور) فى حزم :
ـ ولكننى أطلب النتائج بعد يومين على الأكثر ، ولا يمكننى
الثقة بسواكم :
ـ هتفت (سلوى) :
ـ يومان ؟ ! .. مستحيل يا (نور) . .



ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تحدق فى كومة الأجهزة الإلكترونية المحطمة ، قبل أن تهتف :

ـ أى مطلب هذا يا (نور) ..

ربت (نور) على كتفها ، قائلاً :

ـ ابذلى أقصى طاقتك إذن يا عزيزتى ، لتحقيق هذا المستحيل ..

قالت فى اعتراض :

ـ أنا بشر يا (نور) .

هتفت (نشوى) :

ـ سنعمل معًا يا أماه ؛ وهذا يختصر الأسبوع إلى النصف .

قالت فى حزم :

ـ ما زلنا نحتاج إلى المزيد .. لا يمكن توزيع هذا العمل الشاق على فردين .

أتاها صوت أكثر حزمًا ، يقول :

ـ بل ثلاثة يا (سلوى) .

التفت الجميع إلى باب الحجرة ، حيث يأتى الصوت ، وهتفت (رمزى) :

ـ (محمود) ؟! .. كيف غادرت المستشفى ، قبل أن ..

قاطعه (محمود) :

ـ أنا بخير يا (رمزى) .

ثم أردف فى حسم :

ـ والعمل هنا يحتاج إلى خبراتى ! .. وإلا فما فائدتى للفريق ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يربت (نور) على كتفه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ مرحبًا بك يا صديقى .

تبادل معه (محمود) نظرة تفيض بالمودة ، ثم اتجه إلى حيث كومة الإليكترونيات ، وقال فى هدوء :

ـ حسنًا ! .. متى نبدأ العمل ؟

اتجهت إليه (نشوى) ، وابتسمت قائلة :

ـ الآن ! .. ليس لدينا وقتًا أكثر .

وبدأ العمل على الفور ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة مساءً ، عندما نهض الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، من خلف مكتبه ، ليصافح (نور) ، قائلاً :

ـ (نور) ! .. كيف حالك يا ولدى ؟ ! .. كنت أتوقع حضورك حتمًا .

قال (نور) بابتسامة خفيفة :

ـ أنت تعلم أننى لا أستطيع عادة انتظار التقرير الرسمى .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ أعلم هذا بالطبع ! .. وأنا لم أكتب التقرير الرسمى بعد ، وإن كنت قد انتهيت من فحص وتشريح جثة مدير المخازن ، التى وصلتنى هذا الصباح .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

ـ وما الذى وجدته يا دكتور (حجازى) ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ـ لا شىء .

تطلع إليه (نور) فى دهشة ، فاستدرك فى سرعة :

ـ أقصد أننى لم أجد سوى الأشياء الطبيعية ، إصابات الليزر والكدمات الناشئة عن قتالك معه ، ولا شىء أكثر من هذا .

مال (نور) نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ هل فحصت عقله ؟ ! .. أعنى هل فحصت مخه جيدًا ؟

أجاب الدكتور (حجازى) سؤاله بسؤال آخر ، وهو يقول :

ـ وما الذى يقلقك بشأن مخه .

اعتدل (نور) ، وبدت على وجهه علامات التفكير لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ أظن أن الرجل لم يكن طبيعيًا ، عندما قاتلنى بكل هذه الشراسة ! .. كانت نظراته زائغة ، ووحشيته غير طبيعية ، و ..

قاطعه الدكتور (حجازى) :

ـ وما الذى تتوقع أن أجده فى مخه ، عندما يفعل كل هذا ؟

صمت (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ دكتور (حجازى) ! .. هل تذكر قضية (رءوف عامر)(*) ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع ! .. إنه ذلك العالم ، الذى سيطر على عقول ضحاياه ، بوساطة جراحة دقيقة ، و ..

بتر عبارته بغتة ، ليهتف :

(*) راجع قصة (مثلث الغموض) .. المغامرة رقم (١٥)

- (نور) ! .. هل تتصوَّر هذا حقًّا ؟
أجابه (نور) :
- ولمَ لا يا دكتور (حجازى) ؟! .. إننا مرة أخرى أمام شخص يقوم بعمل جنونى مباغت ، على نحو يوحى بأن شخصًا ما يسيطر على عقله ، ويدفعه للقيام بهذا .. وذلك الشخص هو نفسه الذى جعله يعطيه أدوات مشروع (سيبورج) ، والذى يلعب الآن دور شخص آلى ، ليصل إلى غرض ما ، لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .
ظل الدكتور (حجازى) يتطلع إليه لحظة فى دهشة ، ثم قال :
- من المؤسف أنه لن يمكننى فحص المخ ، على النحو الذى تتصوره يا (نور) ، فلم يتم بعد إعادة تصنيع المجاهر الأيونية ، ولا حتى الإلكترونية ، ولكننى لا أوافقك على هذه الفكرة ، فعجز التكنولوجيا ، فى مرحلة إعادة البناء هذه ، ينطبق أيضًا على الوسائل الجراحية ، التى يمكنها المساعدة على إجراء مثل هذه الجراحات الدقيقة .
قال (نور) :
- ربما تمت السيطرة على عقله بوسيلة أخرى .
سأله الدكتور (حجازى) :
- مثل ماذا ؟
تردد لحظة ، قبل أن يجيب :
- موجات فائقة القصر مثلاً ، مع جهاز مزروع فى المخيخ ، أو ...

قاطعه الدكتور (حجازى) :
- لقد فحصت المخ والمخيخ يا (نور) ، ولم يكن بهما ما يثير الشك .
ثم تراجع ليسأله فى اهتمام :
- ولكن قل لى : هل فكرت فى أية احتمالات أخرى ؟
بدا (نور) جامدًا لحظة ، ثم أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
- نعم .. احتمال واحد ، لو كان صحيحًا ، فسيعنى هذا أن المسئول عن كل جرائم الآلى شخص قريب للغاية من (أكرم) .
سأله الدكتور (حجازى) فى لهفة :
- وما هو هذا الاحتمال ؟
صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب :
- التنويم المغناطيسى يا دكتور (حجازى) .. المسئول عن كل هذا شخص يجيد التنويم المغنطيسى ، ويبرع فيه للغاية .. أتعلم من هو ؟
قال الدكتور (حجازى) فى دهشة :
- أتعنى أنه (رمزى) ؟!
هز (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب :
- كلا .. إنه ليس (رمزى) ، بل هو شخص آخر .. شخص بعيد عن الشبهات ، تمامًا حتى الآن ..
ثم أخبره اسم ذلك الشخص ..

* * *

(هيثم ؟!؟)
ردَّدت الدكتورة (جيهان) الاسم فى دهشة ، وهى تتطلع إلى خطيبها ، الذى دلف إلى حجرة مكتبها بالمستشفى ، فى خفة وصمت ، ثم استطردت فى حيرة :
- ما الذى أتى بك الآن ؟! .. ألم تقل إنك تشعر بالتعب ، وتحتاج إلى بعض الراحة ؟

اقترب منها وتطلّع إلى عينيها فى حنان ، قائلاً :

ـ لم أستطع تركك وحدك .

هتفت فى دهشة :

ـ لماذا ؟ ! .. إننى أعمل دائمًا وحدى .

قال فى رقة ، وهو يملأ عينيه بعينيها الجميلتين :

ـ ليس فى مثل هذه الظروف .

صمتت لحظة ، ثم تنهدت قائلة :

ـ أنت على حق .. على الرغم من وجودى فى قلب المستشفى ، إلا أننى أشعر بالخوف .

تحسس شعرها فى حنان جارف ، قائلاً :

ـ أتشعرين بالخوف وأنا إلى جوارك ؟ !

استكانت للمسات أصابعه على شعرها ، فأسبلت جفنيها ، متمتمة :

ـ وما الذى يمكنك أن تفعله ؟ .. إنك أيضًا ..

بترت عبارتها بغتة ، وعضت شفتيها ندمًا ، عندما شعرت بأصابعه تتجمّد على رأسها ، ففتحت عينيها فى سرعة ، ورأت وجهه الممتقع المصدوم ، وأردفت فى ارتباك :

ـ لم أكن أقصد أن ..

أبعد أصابعه عن شعرها فى حركة حادة ، ثم أشاح بوجهه ، متمتمًا فى مرارة :

ـ كم أتمنى لو كنت قويًا ، حتى يمكننى حمايتك والذود عنك .

هتفت فى حنان :

ـ ومن قال أننى أريد وحشًا مفتول الساعدين ؟ ! .. لقد

أحببتك كما أنت يا (هيثم) ، ولم ولن أحب سواك ، وأشعر أنك أعظم رجل فى الدنيا ، حتى ولو كنت أنت ترى نفسك كأضعف أهل الأرض .

التفت يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يسألها :

ـ أحقًا يا (جيهان) ؟

تحسست وجنته فى هيام ، متمتمة :

ـ هل تسألنى ؟

غرق كل منهما فى عينى الآخر لحظات ، ثم تراجعت هى فى حياء ، وقالت محاولة تغيير دفة الموقف :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن ألقى نظرة على (أكرم) ، فى حجرة العناية المركّزة الجديدة .

وضع يده على كتفها ، قائلاً :

ـ لا عليك أنا آت من هناك على التو ، وهو بخير حال ، ولقد سألت ممرضته عن تطوّر الحالة ، فقالت إن كل شىء على ما يرام .

ترددت لحظة ، ثم قالت :

ـ ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن ألقى نظرة بنفسى .

تراجع قائلاً :

ـ كما يحلو لك .

همّت بالنهوض ، فى نفس اللحظة التى لاحظت فيها ذلك البروز ، بالقرب من الجدار المواجه لمكتبها ..

كان بروزًا له تكوين بشرى ، ولكن يصعب تمييزه فى الحائط ، بلونه وظلاله ، و . . .

وفجأة أدركت ما هذا الشىء ..

وأطلقت صرخة مدوية ..

لقد كان الآلى ..

الآلى القاتل .

* * *



٣ - هجوم ..

لم يكد (نور) يتلقى ذلك النداء ، من إدارة المخابرات العلمية ، حتى انطلق بسيارته الصاروخية على الفور ، إلى المستشفى المركزى ، وهناك استقبله الدكتور (ناظم) فى توتر ملحوظ ، وهو يقول :

- إنه هجوم جديد للآلى .

سأله (نور) فى قلق ، وهو يسير إلى جواره فى خطوات سريعة ، عبر أروقة المستشفى :

- هل هاجم حجرة (أكرم) مرة ثانية ؟

أطلق الدكتور (ناظم) زفرة حارة ، قبل أن يجيب :

- بل هاجم الدكتورة (جيهان) ، وخطيبها الدكتور (هيثم) ، ليسرق كل أوراق مشروع (سيبورج) ، وكل الأوراق الخاصة بحالة (أكرم) .

سأله (نور) فى قلق :

- وهل أصاب (جيهان) بمكروه ؟

أجابه وهما يبلغان حجرة (جيهان) :

- كلا ، ولكنه كاد يقتل (هيثم) ؟! .

توقف (نور) بغتة ، وهو يهتف .

- كاد يقتل (هيثم) ؟!

توقف الدكتور (ناظم) بدوره ، وقال فى حيرة :

- نعم .. كاد يقتله .. ما الذى يدهشك فى هذا ؟

تجمّد (نور) لحظات ، وبدا وكأنه يسبح بعيدًا بذهنه ، قبل أن يغمغم :

- إنه لا يدهشنى فحسب ، ولكن يربك أفكارى كلها .

سأله الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- لماذا ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

- لا شىء .. كانت فكرة سخيفة فحسب .

قالها ودفع باب حجرة (جيهان) ، ووقف يتطلع إلى الطبيبة الشابة ، التى تجلس شبه منهارة ، خلف مكتبها ، فى حين استسلم (هيثم) تمامًا لأحد رجال الإسعاف ، الذى راح يحيط ذراعه اليسرى بالضمادات فى حرص ، وفى الوقت ذاته كانت خزانة المعلومات محطمة تمامًا ، وكل أسطوانات الليزر بها محطمة ، تفرش أرضية الحجرة ..

ورفع (هيثم) عينيه إلى (نور) فى صمت ، وبوجه شاحب ممتقع ، فى حين هتفت (جيهان) :

- (نور) .. هل رأيت ما فعله بنا ذلك الآلى ، أيها الرائد (نور) .

سألها (نور) فى اهتمام :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتورة (جيهان) ؟

لوّحت بكفيها فى هلع ، قبل أن تجيب :

- لقد هاجمنا ذلك الآلى .. كنت أجلس مع (هيثم) هنا ، عندما فوجئنا به عند الحائط .. لم يمكننى تمييزه فى البداية ، ولكنه



فى حين استسلم (هيثم) تمامًا لأحد رجال الإسعاف ، الذى راح يحيط ذراعه اليسرى بالضمادات فى حرص ..

سرعان ما بدا واضحا ، واتجه نحو الخزانة فى بطء مخيف ، دون أن يعيرنا انتباها أو اهتماما ، وأطلق أشعته من مدفع ليزر صغير فى ذراعه ، فنسف قفل الخزانة ، وصرخت أنا فى رعب ، فالتفت إلىّ بوجهه المعدنى المخيف ، وهبّ (هيثم) للدفاع عنى ، ولكن ذلك الآلى أمسك ذراعه بأصابعه المعدنية ، فصرخ (هيثم) ألما ، ورأيت الدماء تنزف من ذراعه ، فصرخت مرة ثالثة ، ثم فقدت الوعى ، ولم أستعد وعيى إلا من دقائق قليلة .

التفت (نور) إلى (هيثم) ، وسأله :

ـ هل أصابك بسوء ؟

أجابه (هيثم) فى ألم :

ـ إننى على قيد الحياة ، وهذا يعنى أننى بخير ، أما عن إصابة ذراعى ، فستشفى قريبًا بإذن الله .

تطلّع (نور) إلى ذراع (هيثم) لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ هل يمكننى رؤية هذه الإصابة ؟

اعتدلت (جيهان) فى مقعدها ، هاتفة :

ـ (نور) ؟! .. ماذا تقول ؟

أجابها (نور) فى هدوء :

ـ أريد فقط رؤية هذه الإصابة يا (جيهان) .

قالت فى حدة :

ـ ألا تكفيك شهادتنا ، ورجال الإسعاف ، و ..

قاطعها (هيثم) فى حزم :

ـ هذا حقه يا (جيهان) .

بدا الغضب على وجهها ، ولكنه استدرك :

ـ من الطبيعى أن يحتاج سيادة الرائد رؤية الإصابة ، فقد يرشده شكلها أو مكانها إلى شىء ما ، يعاونه على الإيقاع بذلك الآلى .

وأزاح رجل الإسعاف فى هدوء ، ثم نزع الضمادات عن ذراعه ، وفردها أمام عينى (نور) ، قائلاً :

ـ ها هى ذى أيها الرائد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى الإصابة الواضحة ..

كانت الأصابع المعدنية الخمسة قد غاصت فى لحم ذراع (هيثم) ، وصنعت خمسة جروح واضحة فيها ، لا تقبل الشك ..

وفى صمت ، رفع (نور) رأسه ، وتطلّع أمامه فى شرود ..

كان من الواضح أن شيئًا ما يربكه ، ويثير حيرته فى شدة ..

ولكن هذا الأمر لم يطل ..

لقد عاد إلى طبيعته فى سرعة ، وقال :

ـ هل فعل الآلى هذا وانصرف على الفور ؟

أجابه (هيثم) ، ورجل الإسعاف يعيد تضميد جرحه :

ـ لقد جذبنى فى عنف ، ثم دفعنى بكل قوته ، فسقطت أرضًا ، وفقدت الوعى ، ولم أفق إلا والحجرة على ما هى عليه ، ولا أثر للآلى .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟ .. هل هاجم ذلك الآلى حجرته أيضًا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلا .. (أكرم) يرقد حاليًا فى حجرته ، ساكنًا صامتًا ، ولكن ..

سأله (نور) فى قلق :

- ولكن ماذا ؟

نقل الدكتور (ناظم) عينيه فى وجوه الجميع ، ثم شدّ قامته ، وقال فى حزم :

- ولكنه لم يكن هناك ، عندما حدث هذا الهجوم .

هتف (نور) فى دهشة :

- ماذا تعنى يا دكتور (ناظم) ؟ .. ألا يقف أحد رجال الإدارة لحراسة الحجرة ؟

أشار الدكتور (ناظم) بسبابته ، قائلاً :

- وما يزال واقفًا هناك ، وهو يقسم أن (أكرم) لم يغادر الحجرة قط ، ولكن الممرضة تقول : إن (أكرم) غادر فراشه ، وأفقدها الوعى ، و ..

قاطعه (نور) :

- أظن أنه من الأفضل أن أستمع إليها بنفسى يا دكتور (ناظم) .

هتفت (جيهان) :

- وأنا أيضًا ، فلست أصدق أبدًا أن (أكرم) يستعيد وعيه .

هبت من مقعدها ، وأسرعت معهما إلى حجرة العناية المركزة ، وهناك وقف الثلاثة خلف النافذة الزجاجية السميكة ، يتطلعون إلى (أكرم) ، الذى يرقد فاقد الوعى ، على فراش المرض ، قبل

أن تقول (جيهان) :

- قلت لكما مستحيل ! .. مستحيل أن يستعيد وعيه .

ولكن الممرضة ، التى لم تكن قد توقفت عن الارتجاف بعد ، قالت فى ارتياع واضح :

- لقد استعاده يا سيدتى .. أقسم لك أنه فعل .. لقد رأيته بنفسى ينهض مغادرًا الفراش .

اقترب منها (نور) ، وقال فى هدوء ، محاولاً تخفيف توترها الشديد :

- لا عليك يا سيدتى .. لقد انتهى كل شىء .. هيا .. صفى لى ما حدث بالضبط .

أجابته فى هلع واضح :

- كنت هنا ، أراقبه من خلف النافذة ، وأراقب أجهزة المتابعة الحيوية ، عندما حان موعد تركيب المحاليل الجديدة ، وهذه الحجرة ليست مزوّدة بجهاز استبدال محاليل آلى ، مثل حجرته السابقة ؛ لذا كان من الضرورى أن أنتقل إلى حجرته ، وأستبدل المحلول بنفسى ..

وارتجف صوتها ، مع اتساع عينيها المذعورتين ، وهى تستعيد هذا المشهد ، قائلة :

- وعندئذ حدث ما حدث .. لقد فوجئت به ينهض من فراشه ، ويحدق فى وجهى بنظرة باردة قاسية ، فتجمدت فى مكانى ، وتجمدت فى حلقى صرخة رعب ، راحت تتردد فى أعماقى ، وهو

يغادر الفراش ، ويتجه نحوى ، ثم يرفع يده إلى عنقى ، و ... ، و ..

سألتها (نور) فى توتر :

ـ هل حاول خنقك ؟

تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ـ كلا .. لست أدرى .. لقد سقطت فاقدة الوعى ، ولست أدرى ما إذا كان قد حاول أم لا .

كان من الواضح أنها صادقة فى كل كلمة نطقت بها ، وفى ذلك الرعب الهائل ، الذى يملأ نفسها ، ويسيل من عبارتها وكلماتها ، فاعتدل (نور) وحيرته تتضاعف وتتضاعف ، وتطلع لحظات فى قلق إلى (أكرم) ، الراقد فى صمت وسكون ، من خلف النافذة الزجاجية السميكة ، ثم لم يلبث أن سأل الممرضة فى اهتمام :

ـ وهل كان الفراش خاليا ، بعد أن نهض (أكرم) ؟

حدقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تسأله :

ـ ماذا يعنى هذا السؤال ؟ .. من الطبيعى أن يكون الفراش خاليا ، بعد أن غادره (أكرم) .

سألها فى هدوء :

ـ هل رأيته بنفسك ؟

بدت أكثر دهشة وحيرة ، وهى تقول :

ـ بالطبع .

ثم ترددت لحظة ، قبل أن تستدرك :

ـ من المؤكد أننى فعلت ، فلو رأيت شيئا على الفراش ، بعد نهوض (أكرم) ، لجذب هذا اهتمامى حتمًا .

قالتها وهتفت :

ـ والآن أرجوكم .. أريد مغادرة هذا المكان .. سيتوقف قلبى عن النبض ، لو بقيت فيه ساعة أخرى .

وتفجرت دموعها ، وهى تستطرد فى مرارة وخوف :

ـ إننى أرتجف كلما تطلعت إليه .. أرجوكم .

ربتت عليها (جيهان) فى إشفاق ، وهى تقول :

ـ لا بأس .. لا بأس .. سأبقى معك حتى تصل زميلتك ، لتتسلم النوبة التالية ، ويمكنك بعدها الانصراف ، والبقاء فى منزلك غدا .. سأعتبرها إجازة عارضة .

غمغم (نور) :

ـ إنها كذلك بالفعل .

ثم عاد يتطلع إلى (أكرم) ، والحيرة فى أعماقه تتضاعف .. وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

* * *

ـ ولكن هذا مستحيل بالفعل يا (نور) !! ...

قالتها (سلوى) فى حيرة حقيقية ، بعد أن استمعت من أفراد الفريق إلى ما حدث ، على لسان (نور) ، الذى هزّ رأسه فى

حيرة أكثر ، وهو يجيب :

- ولكن هذا ما حدث يا رفاق .. لقد رويت لكم كل ما سمعته ورأيته ، ولكنني لم أحصل بعد على محاضر التحقيقات الرسمية ، التى يجريها بعض المتخصصين الآن ، ويحاولون خلالها معرفة كل شىء ، مهما بدا بسيطًا ، إلا أن ما تعلمونه الآن يثير الحيرة فى نفسى كثيرًا ، حتى أننى أشعر بارتباك حقيقى ، لأول مرة فى حياتى ، أمام هذه القضية .

هتف (رمزى) فى دهشة :

- أنت ؟! . أنت تشعر بحيرة حقيقية يا (نور) ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وتنهد قائلاً :

- أنا بشر يا (رمزى) ، وأواجه أكثر قضايا عملى حيرة وغموضًا ، ولا يوجد طرف خيط حقيقى ، يمكننى الإمساك به ، ليقودنى إلى الحقيقة ، وكل خيط أحاول التشبث به يبدو كالسراب ، ما أن أقترب منه وأجذبه ، حتى يتلاشى .

قالت (نشوى) :

- ولكن الخيوط كلها تقود إلى هدف واحد .

سألتها أمها :

- أى هدف هذا ؟

أشارت بسبابتها ، مجيبة :

- (أكرم) .

تنهد (نور) مرة أخرى ، وهز رأسه قائلاً :

- هذا ما يزيد الأمر غموضًا يا (نشوى) .. كل الخيوط تقود

إلى (أكرم) .. وكلها أيضًا تتحطم على صخرته ، دون تفسير علمى أو منطقى واحد ، لكل ما يحدث .

ران على الحجرة صمت طويل ، وكل من أفراد الفريق يحاول دراسة الأمر وتمحيصه فى ذهنه ، إلى أن قطع (محمود) حبل الصمت هذا ، قائلاً :

- لم لا نفترض أنه يستعيد وعيه بالفعل ؟

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وقال (رمزى) :

- ولكن هذا يخالف كل النظريات العلمية والطبية ، و ..

قاطعه (محمود) فى حماس :

- وماذا فى هذا ؟ .. لقد اعتدنا مواجهة كل غريب وعجيب ، فى عملنا هذا ، وليس من المستبعد أن نواجه فى هذه القضية ظاهرة جديدة .. ألم يقل الأطباء إن حالات الغيبوبة العميقة هذه لا تزال غامضة ، ولا أحد يعلم كيف تحدث ، ولا ماذا يصيب الشخص الفاقد الوعى خلالها ، وأنه من الممكن أن يستعيد وعيه بغتة ، فى أية لحظة ، دون قاعدة ثابتة أو معروفة ؟ .. ما دام الأمر كذلك ، فليس من المستبعد أن يستعيد (أكرم) وعيه ، فى لحظات عشوائية ، فينهض بعقله نصف الواعى ، وينتحل شخصية ذلك الآلى ، و..

لوّح بذراعيه لحظات فى صمت ، وكأنما لا يجد ما يستطرده ، ثم هتف :

- سنجد حتمًا تفسيرًا منطقيًا ، لو افترضنا هذا

قال (نور) :

- لقد طاف هذا الاحتمال بخاطرى بالفعل يا (محمـود) ، وحاولت دراسته أكثر من مرة ، ثم قفزت إلى ذهنى فكرة مخيفة
سألته (سلوى) فى قلق :
- ما هى ؟ !
بدا صامتًا جامدًا لحظات ، ثم أجاب فى حزم :
- الطرح الجسدى .
انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، واتسعت عينا (سلوى) فى دهشة ، وكرّر (محمود) الكلمة فى انزعاج ، فى حين قالت (نشوى) فى حيرة :
- وما هذا الطرح الجسدى ؟
أجابها (نور) :
- إنها عملية خارقة للمألوف ، تحدّث عنها بعض علمـاء ما فوق الطبيعيات ، وهم يدرسون أحوال الوسطاء الروحانيين ، وبعض الظواهر الخارقة ، وفيها يتكوّن ما يسمى بالـجسم الأثيرى ، خارج جسم الوسيط ، عندما تبلغ قوته العقلية ذروتها ، ويمكن للآخرين رؤية هذا الجسم الأثيرى ، الذى قد يكون نسخة طبق الأصل من صاحب الجسد الأصلى ، أو يتكوّن فى صورة أخرى ، كصورة شخص آخر ، أو جسم آخر ، وهناك حـوادث مسجلة علميًا ، وحالات التقط فيها البعض صورًا فوتوجرافية واضحة للوسطاء ، والجسم الأثيرى المصاحب لهم (*) .
قالت (نشوى) فى مزيج من الدهشة والخوف .

(*) حقيقة علمية .

- ولكن هذا يشبه روايات الخيال العلمى ، وأفلام الإثـارة والرعب .
أجابها (رمزى) هذه المرة :
- ولكنه حقيقة يا (نشوى) ، ولقد قضى البعض عمره كله لدراسة هذه الظاهرة ، التى استنكرها البعض ، وأيدها البعض الآخر ، وما زالت تتأرجح بين الرفض والقبول ، حتى يومنـا هذا .
قالت فى انفعال :
- فى هذه الحالة يكون هذا الآلى مجرد جسم أثيرى ، يفرزه جسد (أكرم) ، دون أن يخرج الأخير من غيبوبته !
هزّ (نور) كتفيه ، وقال :
- إنه يبدو تفسيرًا عجيبًا وخياليًا ، وعلى الرغم من هذا ، فهو التفسير المنطقى أو العلمى الوحيد ، الذى تتوازن معه كل هذه الأحداث .
بدت الحيرة على وجهها لحظات ، ثم قالت فى عناد :
- لو افترضنا هذا ، فكيف اختفى (أكرم) من حجرته ، قبل أن يهاجمنا ذلك الآلى ، أنا و (محمود) و (رمزى) ؟
قال (نور) فى خفوت :
- الأمر يحتاج إلى دراسة نظرية الجسم الأثيرى أولاً ، قبل إجابة مثل هذا السؤال .
لم يقنعها هذا الجواب ، فأضافت :

- فليكن .. دعونا نفترض أننا نواجه جسمًا أثيريًا ، على الرغم من قوته .. ولكن كل هذا لا يجيب السؤال الرئيسى .. لماذا يفعل (أكرم) كل هذا ؟

لوّح (نور) بسبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- نعم يا (نشوى) .. هذا هو السؤال .. لماذا يحدث كل هذا ؟ ! .. لماذا ؟

وبقى السؤال بلا جواب ..

أو أن الجواب كان يتكون فى اللحظة نفسها ..

وفى قلب (القاهرة الجديدة) ..

على رءوس الأشهاد .

* * *



٤ - الهدف ..

ألقى حارس الأمن الخاص ، الذى تم تعيينه داخل حجرة العناية المركزة ، نظرة طويلة على (أكرم) ، فى صمته وسكونه العميقين ، ثم أطلق من أعماقه زفرة حارة ، وهو يقول لممرضة الحجرة فى ضجر :

- يا لها من مهمة سخيفة ! .. لقد أخبرونى أنها مهمة بالغة الخطورة ، وطلبوا منى عدم النوم لحظة واحدة ، وهأنذا أقضى نصف المساء فى ضجر تام ، أتطلّع إلى رجل فاقد الوعى ، لا ينبس ببنت شفة ، أو يأتى بأدنى حركة .. أية خطورة فى عمل كهذا ؟ !

هزّت الممرضة كتفيها ، وقالت :

- إنك لم تر ما رأوه ، ولا تعرف ما يعرفونه .. أنا أيضًا أخبرونى أن أتخذ الحذر ، والشىء الوحيد ، الذى أتميّز به عنك ، هو أننى رأيت زميلتى الشاحبة المرتجفة ، وهى تغادر هذه الحجرة ، حتى لقد تصوّرت أننى سأقضى الليلة فى بيت الأشباح .

زفر الحارس مرة أخرى ، وعاد يتطلّع إلى (أكرم) ، ثم التفت إليها يسألها :

- ألم يخبرك أحد عن سر خوف زميلتك وشحوبها ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- كلا .. إنهم يحتفظون بالأمر سرًا ، كما لو أنه جزء من سرية رهيبة ، بين أجهزة المخابرات المختلفة .

رمقها بنظرة طويلة ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً :

- من يدرى ؟ .. ربما .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطفأت أنوار الحجرة بغتة ، فأطلقت الممرضة صيحة ذعر ، وهبّ هو واقفًا ، واستلّ مسدسه الليزرى بحركة حادة ، وهو يهتف :

- ماذا يحدث هنا ؟

التصقت به الممرضة فى رعب ، وقالت :

- لست أدرى .. ليس من المفروض أن يحدث هذا .. ولكن المولّد الاحتياطى سيعمل فى خلال ثوان معدودة ، و ..

بترت عبارتها فجأة ، عندما شعرت بشىء غامض ينتزع الحارس من جوارها فى عنف ، وسمعته يقول فى انزعاج :

- ما هذا ؟ .. من أنت ؟

ثم سمعته يطلق شهقة عنيفة ، اختلطت بقرقعة مخيفة ، ثم بصوت ارتطام جسد بالأرض ، فتراجعت فى رعب هائل ، وصرخت :

- ما هذا ؟ .. ما هذا ؟

اشتعل المولّد الاحتياطى ، فى اللحظة نفسها ، وسطعت أضواء الحجرة ، واتسعت عينا الممرضة فى رعب أكثر ..

وأمام عينيها ارتسم هذا المشهد الرهيب ..

الآلى بقامته الممشوقة ، وجسده المعدنى المخيف ، وتحت

قدميه جثة الحارس ، وقد انكسر عنقه ، وجحظت عيناه ، وفارق الحياة ..

وانفرجت شفتا الممرضة ، لتنطلق من حلقها صرخة رعب أخرى ، ولكن اليد المعدنية تحرّكت فى سرعة كبيرة ، وهوت على وجهها ، فارتطم رأسها بالحائط ، و ..

وسقطت فاقدة الوعى ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى مرور ثلث الساعة فحسب ، بعد حادث المستشفى ، عندما توقفت سيارة أحد المواطنين أمام إشارة المرور ، وبدا المواطن خلف عجلة قيادتها ضجرًا متململاً ، وهو يقول فى سخط :

- يا لإشارات المرور اللعينة .. سنتوقف أربع دقائق على الأقل .

قالت زوجته فى ضيق :

- إنه القانون ، وأنت تضيع عشرات الأضعاف من هذا الوقت ، أمام شاشات الهولوفيزيون ، فلماذا تخنقك طاعة القانون إلى هذا الحد ؟

بدا وكأنه لم يسمعها قط ، وهو يتطلّع فى اهتمام إلى شرطى المرور ، الذى انشغل بمعاونة طفلين على عبور الطريق ، ثم قال فى لهفة :

- الشرطى لا يرانا الآن ، ويمكننا الانحراف إلى طريقنا فى سرعة ، دون أن ينتبه إلى هذا .



وأمام عينيها ارتسم هذا المشهد الرهيب :
الآلى بقامته الممشوقة ، وجسده المعدنى المخيف ، وتحت قدميه جثة الحارس ..

قالت فى توتر :

ـ لماذا ؟ .. لن تمض دقائق ، حتى يمكننا فعل هذا على نحو قانونى .

أدار محرّك السيّارة ، قائلاً فى سخرية :

ـ ولماذا ننتظر ؟

اندفع بالسيارة ، متجاوزًا إشارة المرور الحمراء ، وهم بالانحراف فى الطريق الأيمن فى سرعة ، عندما هوت الصاعقة على سيارته ..

وفى هذه المرة كانت الصاعقة عبارة عن حزمة من أشعة الليزر ، هبطت من السماء على مقدمة السيارة ، ونسفت محركها نسفًا ..

وانطلقت صرخات المارة ، وامتزجت بصرخة الزوجة ، التى اتسعت عينا زوجها فى ذهول ، وهو يحدّق فى ذلك الفراغ ، الذى تركه المحرّك المحطّم ..

وفجأة ، انحبست الصرخات فى الحلوق ..

انحبست على مرأى ذلك الآلى ، الذى هبط من أعلى ، بوساطة حزام الطيران ، وانقضّ على السيارة ، ثم انتزع منها بابها الأيسر فى قوة ، ومدّ يده يجذب سائقها ، وسط صرخات زوجته ..

وامتقع الرجل فى رعب هائل ، وهو يواجه ذلك الآلى ، الذى تطلّع إليه بآلتى تصوير الفيديو ، وقال بصوت آلى معدنى مخيف :

ـ أنت خالفت القانون عمدًا .

عجز الرجل عن النطق ، من شدة رعبه ، فى حين لوّحت

زوجته بكفها ، هاتفة فى هلع لا مثيل له :
- لم يكن يقصد هذا .. لم يكن يقصده .
واندفع جندى المرور نحو الآلى ، هاتفًا :
- أنت .. ماذا تفعل ؟
ولكن الآلى تجاهل كل هذا ، وهو يستطرد :
- وتستحق الموت .
اتسعت عينا الرجل فى رعب ، وصرخت زوجته فى ارتياع ، فى حين رفع الآلى قبضته المعدنية ، مضيفًا :
- الآن .
وقبل أن يطلق الرجل صرخة واحدة ، هوت قبضة الآلى على صدره كالقنبلة ، وهشمت أضلاعه فى صوت رهيب ، وغاصت وسط الصدر ، مفجّرة بركانًا من الدماء ..
وأطلقت الزوجة صرخة هائلة ، وهوت فاقدة الوعى ، فى حين جحظت عينا زوجها ، قبل أن تفيض روحه إلى بارئها ، دون أن يطلق حتى صرخة ألم واحدة ، وصاح شرطى المرور :
- يا إلهى ! .. أى هول هذا ؟
كان أبشع مشهد شاهده المارة ، فى عمرهم كله ، فانطلقت من حلوقهم صرخات وشهقات الرعب والارتياع ، واندفع بعضهم يعدو بلا هدف ، وانطلقت السيارات فى ذعر ، وراحت ترتطم ببعضها البعض ، والشرطى ينتزع مسدسه ، صارخًا :
- أنت موقوف بتهمة القتل .
التفت إليه الآلى فى بطء ، وانتزع قبضته المعدنية الملوّثة

بالدماء من صدر ضحيته ، وألقى جثته فوق السيارة ، قبل أن يواجه الشرطى ، الذى رفع مسدسه ، هاتفًا :
- إننى ألقى القبض عليك .
رفع الآلى ذراعه نحو الشرطى ، الذى تراجع صائحًا :
- إننى أحذرك .. سأطلق الأشعة .
وانطلقت الأشعة بالفعل ..
ولكن من المدفع الليزرى الصغير ، فى ذراع الآلى ..
وانتزعت الأشعة الشرطى من مكانه ، ومزّقت صدره ، فى موضع القلب تمامًا ، وألقته بدوره جثة هامدة ..
وتضاعف ذعر المارة ورعبهم ، وانطلقت من بعيد أبواق سيارة شرطة ، ولكن الآلى ضغط زر حزام الطيران فى هدوء ، وانطلق كالصاروخ مبتعدًا عن المكان ، وسط الظلام ، و ..
والخوف ..

* * *

أسند القائد الأعلى للمخابرات العلمية رأسه إلى راحته ، وهو يستمع إلى تقرير الدكتور (ناظم) فى مرارة ، ثم رفع رأسه فى أسى ، وهو يقول :
- مخالفة مرور ؟! .. أكل هذه البشاعة والقسوة ، من أجل مخالفة مرور ؟!
قال الدكتور (ناظم) فى أسف :
- لقد أثار موجة هائلة من الذعر ، ولم يعد من الممكن إخفاء

الأمر ، ثم أن البعض راح يشيع أنه مخلوق من كوكب آخر ، يمهّد لغزو جديد ، ولك أن تستنتج ما يمكن أن يفجّره هذا فى النفوس من رعب هائل ، بعد كل ما قاساه العالم من الاحتلال قديمًا .

غمغم القائد الأعلى :

- هذا ما كان ينقصنا .

ثم اعتدل يسأل الدكتور (ناظم) :

- وماذا فعلت إزاء هذا ؟

أجابه الرجل :

- لقد فحص رجالنا مكان الحادث ، وجمعوا كل ما يمكن فحصه معمليًا ، وتم نقل زوجة الضحية إلى مستشفى خاص ، لعلاجها من الانهيار العصبى الشديد ، الذى أصابها مع مصرع زوجها ، على هذا النحو البشع ، أما جثة الرجل ، فقد تم نقلها إلى مصلحة الطب الشرعى ، والدكتور (محمد حجازى) يقوم بفحصها الآن .

سأله القائد الأعلى :

- وماذا عن (نور) ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

- إنه يكاد يصاب بالانهيار ، من شدة التوتر والانفعال ، ونقص ساعات النوم والراحة .

هزّ القائد الأعلى رأسه متفهمًا ، وقال :

- وأين هو الآن ؟

لوّح الدكتور ناظم بكفه ، قائلاً :

- فى المستشفى ، فالأمر - فى هذه المرة أيضا - ارتبط بحادث غامض وعنيف ، فى حجرة (أكرم) .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ما معنى هذا بالضبط ؟ ! .. لماذا يرتبط الأمر دائمًا بـ (أكرم) هذا ؟

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يقلّب كفه فى حيرة :

- لا أحد يدرى .. الأمر غير مقبول أو منطقى ، من الناحية العلمية أو العملية ، وعلى الرغم من هذا ، فهناك سر غامض ، يربط ما بين (أكرم) ، وذلك الآلى الرهيب ، ولكن ما هذا السر بالضبط .. لا أحد يدرى ..

نعم .. ما هذا السر بالضبط ؟ !

هذا هو السؤال نفسه ، الذى كان يدور فى عقل (نور) ، وهو يقف داخل حجرة العناية المركّزة ، يراقب (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى التف حوله عدد من الأطباء ، يعيدون فحصه للمرة الثالثة ، خلال يومين فحسب ..

وفى أعماق (نور) كان هناك بركان ثائر متفجّر ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟ ! ..

كيف يستعيد (أكرم) وعيه ، ويحتلّ ذلك الجسد الآلى ؟ ! ..

وكيف يعود بعدها إلى حالة فقدان الوعى ؟ ..

كان رأسه يلتهب بالأسئلة ، عندما شعر بيد توضع على كتفه ، وسمع صوتًا خافتًا ، يقول فى رقة :

- كيف حالك أيها الرائد ؟

التفت (نور) إلى صاحب الصوت فى هدوء ، وقال :
ـ فى غاية القلق يا دكتور (هيثم) .. كيف حال ذراعك ؟
تطلع (هيثم) بدوره إلى (أكرم) ، وأجاب فى خفوت :
ـ ستشفى قريبًا بإذن الله ..
مرّت لحظة من الصمت ، ثم أضاف (هيثم) :
ـ أما زلت تتصوّر أن (أكرم) هو ذلك الآلى ؟
قال (نور) :
ـ فى عملنا لا ينبغى أن نهمل أى احتمال ، مهما بدا عجيبًا أو مستحيلاً .. ثم إن الدلائل كلها تشير إلى هذا ، على الرغم من إصراركم جميعًا على استحالته .
قال (هيثم) :
ـ إننا نتحدث برأى علمى .
أجابه (نور) :
ـ العلم لم يدرك كل شىء بعد يا دكتور (هيثم) .
ثم أضاف فى اهتمام :
ـ وعلى أية حال ، سنواجه الأمر بشبكة علمية هذه المرة .
سأله (هيثم) فى حيرة :
ـ كيف ؟
أجابه (نور) :
ـ سنزود هذه الحجرة بكل وسائل المراقبة والفحص ، وكأنها ثكنة حربية صغيرة ، وسنراقب فراش (أكرم) بآلات تصوير الفيديو ، والهولوجرافات ، والفحص الإشعاعى ، والحرارى ،

والأشعة دون الحمراء ، ومكبرات الصوت الدقيقة والفائقة ، وأجهزة الرادار المتطوّرة ، وسأحيط المكان كله بفريقين مسلحين من فرق الأمن .
هتف (هيثم) :
ـ ما كل هذا ؟
أجابه (نور) فى حزم :
ـ لا ينبغى أن نترك ثغرة واحدة هذه المرة .
وافقه (هيثم) بإيماءة من رأسه ، وقال :
ـ أنت على حق .. الأمر أعقد من أن نتعامل معه بالوسائل التقليدية .
انتهى الأطباء من الفحص ، فى اللحظة نفسها ، وتبادلوا بعض العبارات الفنية ، قبل أن يتجه رئيسهم إلى (نور) ، وهو يقول فى حسم :
ـ إنه فاقد الوعى تمامًا ، ما من أدنى شك فى هذا .
التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :
ـ كيف ؟ .. إنه ..
قاطعه الرجل فى حزم :
ـ إنه عملنا أيها الرائد ، ونحن على استعداد لمنحك شهادة رسمية بهذا .
قال (نور) فى ضيق :
ـ لست أحتاج إلى هذا يا سيدى ، ولست أعترض على نتائج فحصكم لـ (أكرم) ولكننى أحتاج إلى بعض المعلومات الضرورية ،

حول هذه الحالة .

أشار إليه الطبيب ، قائلاً :

ـ حسنًا أيها الرائد ، تفضل فى مكتبى ، وسأجيب على كل أسئلتك .

تردد (نور) لحظة ، ثم التفت إلى رجال الأمن ، قائلاً :

ـ سأصحب الطبيب إلى حجرته ، وأريد رجلى أمن هنا ، بكل أسلحتهما ، لحراسة الحجرة ، ومنع دخول أو خروج أى شخص منها ، حتى يصل طاقم خاص من مركز أبحاث إدارة المخابرات العلمية ، لتركيب معدات الفحص والمراقبة ، وليبلغنى أحدكم عند وصول الطاقم .

أجابه رئيس الأمن :

ـ اطمئن أيها الرائد .. سيحرس رجالى المكان بأرواحهم .

غمغم (نور) :

ـ أتعشم هذا .

ثم لوّح لـ (هيثم) بكفه ، مستطردًا :

ـ معذرة يا دكتور (هيثم) .. سنواصل حديثنا فيما بعد .

وصحب الطبيب إلى حجرة مكتبه ، ولم يكد يستقرّ بهما الحال هناك ، حتى سأله فى اهتمام بالغ :

ـ أخبرنى يا سيدى ، ما نسبة الخطأ ، فى تقرير حالة الغيبوبة ؟

هزّ الطبيب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ولا صفر فى المائة .. إننا نفحص كل العوامل والمعدلات الحيوية ، وفى كل حالات الغيبوبة العميقة ، تنخفض كل هذه

المعدلات إلى حد بالغ الضآلة ، لا يكفى للقيام بأدنى عمل ، وإنما يكفى بالكاد لبقاء الشخص على قيد الحياة ، ومن المستحيل افتعال هذه الحالة .

اعتدل (نور) فى مقعده ، قائلاً :

ـ من قال إن هذا مستحيل ؟

قال الرجل فى حدة :

ـ العلم أيها الرائد .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ العلم لا يمكنه رفض حدوث هذا عمدًا يا سيدى ، لأنه يحدث بالفعل ، منذ عشرات السنين ، ففقراء الهنود يمكنهم منذ الأزل خفض معدلاتهم الحيوية بإرادتهم ، إلى أدنى حد ممكن ، حتى أنه يتم دفنهم أحياء ، لمدة قد تبلغ يومًا كاملاً ، ثم يخرجون إلى الحياة أصحاء معافين (*) .

قال الرجل فى عصبية :

ـ لسنا نؤمن هنا بهذه الخزعبلات أيها الرائد .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ ليست خزعبلات كما تتصوّر يا سيدى ، ولكن دعنا من هذا ، فلسنا هنا بصدد مناقشة صحة هذه الأمور من عدمها ، المهم أن تخبرنى .. هل يمكن وضع الجسم فى حالة شبيهة بالغيبوبة العميقة ، بوساطة بعض العقاقير .

(*) حقيقة .

أجابه الرجل :

- بالطبع .. عقاقير التخدير ، المستخدمة في العمليات الجراحية ، يمكنها فعل هذا بكل بساطة .

بدا الاهتمام البالغ على وجه (نور) ، وهو يقول :

- إذن فقد يعني هذا أن شخصًا ما ، أو جهة ما يمكنها إيهامنا بأن (أكرم) ما يزال غارقًا في غيبوبة عميقة ، في حين يكون (أكرم) قد استعاد وعيه فعليًا ، ولكنه يوضع في حالة غيبوبة صناعية عند اللزوم .

قال الطبيب في دهشة :

- أي قول هذا أيها الرائد ؟!

أجاب (نور) في حماس :

- مجرد فكرة يا سيدي .. فكرة تستحق الدراسة .

بدت علامات التفكير على وجه الطبيب لحظات ، ثم قال :

- ولكنها فكرة غير محتملة أيها الرائد ، فالعقاقير التي يمكنها وضع الجسم في مثل هذه الحالة صناعيًا ، عقاقير قصيرة المدى ، ينتهي مفعولها بعد ساعة واحدة على الأكثر ، واستمرارها لفترات طويلة قد يسبب إحباطًا للمراكز التنفسية الحيوية ، وموتًا للمريض .

قال (نور) :

- ربما كان هناك عقار جديد ، أو ..

قاطعه الطبيب في حزم :

- لم نقرأ شيئًا عن هذا .

أجاب (نور) :

- ليس من الضروري أن نعلم بوجوده رسميًا يا سيدي .

لوّح الطبيب بذراعه ، قائلاً :

- ربما .. لن أناقش أفكارك البوليسية أيها الرائد ، ولكن كشف وجود هذا العقار في دماء (أكرم) أمر بالغ البساطة .. سنحصل على عينة من دمه ، ونقوم بتحليلها فحسب .

نهض (نور) ، قائلاً :

- هل يمكننا فعل هذا الآن ؟

عقد الطبيب حاجبيه في ضيق ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟

غادر الحجرة مع (نور) ، متجهين إلى حجرة العناية المركزة ، التي يرقد فيها (أكرم) ، ولم يكد المكان يلوح ، حتى لاحظ (نور) حالة التوتر الواضحة هناك ، فاندفع إلى حيث يقف طاقم الأمن ، مع فريق الأبحاث التابع للإدارة ، وقال :

- ماذا هناك ؟ .. ألم أطلب معاونة فريق الأبحاث ، على تركيب أدوات المراقبة والفحص ، و ..

قاطعه رئيس طاقم الأمن في توتر :

- إننا لم نمنعهم أيها الرائد ، ولكن ..

ارتبك الرجل ، وعجز عن الاستطراد ، وهو يشير إلى حجرة (أكرم) في توتر ، فاندفع (نور) يفتح الحجرة ، ويدلف إليها ، و ..

وتجمّد في مكانه في ذهول ..

لقد كانت الحجرة كلها هادئة ، ساكنة ، ويستقر كل شيء فيها في مكانه ، فيما عدا شيئًا واحدًا ..

(أكرم) ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا .

* * *

٥ - وبدأت الحرب ..

« ما هذا بالضبط ؟ .. » .

ألقت (نشوى) سؤالها هذا ، وهي ترفع أنبوبة صغيرة أمام عينيها ، فالتفت إليها (محمود) و (سلوى) ، وألقيا نظرة على تلك الأنبوبة ، ثم التقطها (محمود) من يدها ، وفحصها في سرعة واهتمام ، قبل أن يقول :

- إنها أنبوبة ليزر بسيطة ، من ذلك النوع المستخدم في تصوير وعرض الصور الهولوجرافية (*) .

سألته (نشوى) :

- أعلم هذا ، ولكن ما فائدة وجود هذه الأنبوبة ، وسط أجهزة فحص العمليات والمعدلات الحيوية ، في حجرة العناية المركزة ؟

عقدت (سلوى) حاجبيها في تفكير عميق ، ثم قالت :

- لست أجد لها عملًا محددًا .

(*) الهولوجراف : وسيلة تصوير وعرض الصور ، ذات الأبعاد الثلاثة ، باستخدام شعاع من الليزر ، ينقسم إلى قسمين ، يسلط أحدهما على الجسم المراد تصويره ، والثاني على اللوح الحساس ، وعند عرض الصورة ، تبدو كما لو كانت جسمًا حقيقيًا ، ولقد توصل إلى هذا الأسلوب العالم (دينيس جابور) عام ١٩٤٧م ، وحصل عليها على جائزة نوبل للعلوم ، عام ١٩٧١م .



وألقيا نظرة على تلك الأنبوبة ، ثم التقطها (محمود) من يدها ، وفحصها في سرعة واهتمام ..

وهنا هتف (محمود) :

ـ هذه هي النقطة المطلوبة .. هذا ما يبحث عنه (نـور) حتمًا .. لقد كانت هناك وسيلة عرض أو تصوير هولوجرافي في الحجرة ، بصورة غير رسمية .

قالت (نشوى) في اهتمام :

ـ لماذا ؟ .. ما فائدتها بالضبط ؟

اندفعت (سلوى) قائلة :

ـ ليختفي (أكرم) وقتما يشاء .

هتفت (نشوى) في حماس جارف :

ـ رائع يا أماه .. هذا هو التفسير المنطقي بالفعل .. التفسير لظهور الآلي ، دون أن يختفي (أكرم) ، ولتعمده نسف إطار النافذة .. لقد كانت آلة العرض الهولوجرافي تختفي في إطار النافذة ، وتبدأ في عرض صورة هولوجرافية لـ (أكرم) الراقد على فراشه ، في غيبوبة عميقة ، في نفس الوقت الذي يكون فيه هذا الأخير خارج الفراش ، في زي الآلي ، وبرنامج الكمبيوتر يدفع الآلات كلها للعمل في انتظام .

قال (محمود) معترضًا :

ـ ولكن الخبراء أكدوا أنه لا يوجد برنامج كمبيوتر ، أو ..

قاطعته في غمرة حماسها :

ـ برنامج الكمبيوتر يمكن محوه بضغطة زر واحدة عند اللزوم ، وربما محاه هو ، بعد أن هاجمنا ، وحطم الحجرة .

قالت (سلوى) في حذر :

ـ أنت بهذا تؤكدين اتهام (أكرم) بأنه الآلي .

اندفعت (نشوى) نحو هاتف الفيديو ، قائلة :

- ليس هذا فحسب ، ولكننى سأتصل بوالدى فى المستشفى ، وسأطلب منه إلقاء القبض على (أكرم) ، الذى يتظاهر بالوقوع فى غيبوبة عميقة .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تستطرد فى ثقة .

- لقد انتهت اللعبة ، وانكشف الأمر .. وربح فريقنا الحرب .

لم تكن تدرك لحظتها أن الحرب ، التى تتحدث عنها ، لم تنته .. لقد بدأت ..

* * *

حدق مدير المستشفى فى السرير الخالى فى دهشة بالغة ، وهز رأسه مرددًا فى توتر بالغ :

- مستحيل ! .. إنه لم يختف حتمًا ! .. لم تنشق الأرض وتبتلعه ، أو يتبخر !

قال حارسا الحجرة فى اضطراب :

- وهو لم يغادر الحجرة يا سيدى .. لا أحد دخل الحجرة أو غادرها ، منذ أمرنا الرائد (نور) بحراستها ، وحتى وصل فريق الأبحاث .

صاح المدير فى غضب :

- أين ذهب المريض إذن ؟

قلب الجميع أكفهم فى حيرة شديدة ، والتقى حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يعيد فحص الحجرة كلها بعينيه ، قبل أن يغمغم :

- اللعنة !

التفت إليه مدير المستشفى ، قائلاً :

- ماذا تقول ؟

هز (نور) رأسه ، قائلاً :

- لا شىء يا سيدى .. لا شىء .. إننى أصف مشاعرى لنفسى .

لم يفهم الرجل ما يعنيه (نور) بالضبط ، وإنما هتف :

- إننا لسنا أمام عمل سحرى .. أليس كذلك ؟

لم يجب (نور) ، وهو يدير عينيه فى المكان مرة ثالثة ، ثم سأل فجأة :

- ألا يوجد أى مخرج آخر للحجرة ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

- كلاً .. لا يوجد سوى مخرج واحد .

قال (نور) فى حزم :

- أهذا ما تقوله الرسوم الهندسية للمبنى أيضًا ؟

قال المدير :

- لست أدرى .. يمكنك مراجعة الرسوم بنفسك .

أجابه (نور) :

- سأفعل بالتأكيد ، وحتى أنتهى من هذا ، أريد من رجال البحث الجنائى فحص الحجرة بمنتهى الدقة والاهتمام ، على أن يتم إعلامى بأى أثر ، يتم العثور عليه ، مهما بلغ من الصغر .

واعتدل مستطردًا فى حنق :

- إننا نواجه خصمًا جهنميًا .. جهنميًا بحق ..

* * *

اكتظت قاعة المحاكمات الكبرى بعدد ضخم من المشاهدين والصحفيين ، لحضور جلسة محاكمة واحد من أشهر رجال الأعمال فى المجتمع ، بتهمة الاتجار فى المخدرات الحديثة ، فى أوّل قضية من نوعها ، فى العالم الجديد ..

وفى توتر شديد ، راحت (مشيرة محفوظ) تلقى تعليماتها للطاقم المصاحب لها ، لتركيز آلات التصوير على الزنزانة الإليكترونية ، ومنصة القضاء ، ورجال الأمن ، الذين يحيطون بالمكان ، وفى عصبية شديدة ، أزاحت خصلات شعرها ، هاتفة :

- هيا .. إنكم لم تنتهوا من عملكم بعد ، وسيبدأ البث بعد لحظات .

كان الرجال يعملون بأقصى طاقاتهم بالفعل ، ولكنها كانت تشعر فى أعماقها بتوتر لا حدود له ، يدفعها لهذه العصبية الشديدة ، التى بذلت أقصى طاقتها بدورها للتغلب عليها ، قبل بدء البث ..

وفى حزم ، قال رئيس فريق التصوير :

- هيا يا (مشيرة) .. سنبدأ الآن .

سمعته يبدأ العد التنازلى ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على توترها ، ورسمت على شفتيها ابتسامة مدروسة ، عندما هتف الرجل :

- الآن يا (مشيرة) .

لم يكد ينتهى من نطق عبارته ، حتى بدأت (مشيرة) حديثًا إلى المشاهدين ، قائلة :

- أعزائى المشاهدين والمشاهدات .. ننقل إليكم الآن تفاصيل محاكمة العصر .. أوّل قضية اتجار فى المخدرات ، منذ نهاية الغزو .. رجل الأعمال الشهير (ماجد منصور) هو المتهم الأوّل فى القضية ، ولكن محاميه يؤكد أن البراءة مضمونة ، على الرغم من كل ما يشيعه النائب العام ، من حتمية إدانة (ماجد منصور) .. ترى كيف تنتهى جلسة اليوم .. هذا ما سنتابعه معًا ، فى هذا التحقيق .

شعرت بالارتياح ، عندما ابتعدت عنها عدسات التصوير ، وراحت تنقل وقائع جلسة المحاكمة ، فألقت جسدها على مقعدها ، ودفعت خصلات شعرها إلى الخلف ، وهى تقول :

- لقد سئمت هذه المهنة .

ابتسم رئيس فريق التصوير ، وقال :

- إنه ملل مرحلى فحسب ، لن يلبث أن ينتهى كالمعتاد .. كل ما تحتاجين إليه هو إجازة قصيرة ، بعد تجربتك العنيفة .

أومأت برأسها مغمغمة :

- نعم .. ربما كنت على حق .. إننى أحتاج إلى إجازة بالفعل .

استرخت فى مقعدها ، وراحت تتابع المحاكمة فى تراخ ..

كان وكيل النيابة يصرُّ على تطبيق أقصى عقوبة على (ماجد منصور) فى حين يؤكد محامى هذا الأخير أن إلقاء القبض عليه غير قانونى ، ويطالب بالإفراج عنه على الفور ، واستغرقت

المناظرة وقتًا طويلاً ، ثم حانت لحظة النطق بالحكم ..

وفى أسف هزّ القاضى رأسه ، وقال :

ـ طبقًا للقانون فعملية إلقاء القبض على (ماجد منصور) لم تكن مناسبة أو قانونية ، ولم تستطع النيابة إثبات العكس ، مما يحتم علىّ ـ بكل أسف ـ أن أحكم بالإفراج عن المتهم ، دون قيد أو شرط ، و ..

دوى صوت قوى فى المكان بغتة ، مقاطعًا القاضى :

ـ خطأ .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وارتفعت رءوسهم إلى أعلى ، ثم انطلقت من حلوقهم الشهقات والصرخات ، واتسعت عينا (مشيرة) فى ذعر ، وهى تحدق معهم فى ذلك الجسد ، الذى تكوّن عند الجدار ، أو ظهر للأعين ، مع اختلاف ألوانه التدريجى ، قبل أن يهبط من فوق باب القاعة ، بوساطة حزام الطيران ، ويستقرّ وسط القاعة ، عاقدًا ساعديه أمام صدره المعدنى ..

وهتفت (مشيرة) بصوت مختنق :

ـ إنه هو .

ساد الهرج والمرج فى القاعة ، واستلّ كل رجال الأمن أسلحتهم ، وصاح رئيس فريق التصوير فى حماس :

ـ التقطوا صورته .. هيا .. إنه سبق هائل .

التفتت آلات التصوير كلها إلى حيث يقف الآلى ، وسط قاعة المحاكمات الرئيسية ، ونقل البث المباشر صورته ..

إلى (مصر) كلها ..

* * *

انعقد حاجبا مهندس المستشفى الخاص ، وهو يتطلع إلى وجه (نور) ، ويقول فى حذر يحمل نبرة عدوانية :

ـ الرسم الهندسى للمستشفى ؟! .. ولماذا تريد رؤية الرسم الهندسى للمستشفى أيها الرائد ؟

قال (نور) فى حزم :

ـ إننى أطلبه منك بصورة رسمية أيها المهندس ، وليس من حقك معرفة السبب ، طبقًا لقانون الأمن العام ، و ...

قاطعه الرجل بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ لا بأس أيها الرائد .. لا بأس .. سأمنحك ما تريد .

والتفت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، مستطردًا فى لهجة نصف ساخرة :

ـ فلست أحب أن ألقى حتفى مثل (وليد) المسكين .

بدا الضيق على وجه (نور) لسماعه هذه العبارة ، ولكنه سيطر على أعصابه ، وهو يقول :

ـ لن يلقى أى مخلوق حتفه بعد هذا بإذن الله .

قال الرجل فى سخرية ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر بأصابعه :

ـ لماذا ؟ .. هل تفكر فى الاعتزال ؟

أجابه (نور) على الفور :

ـ ليس وفى هذا العالم أوغاد مثلك .

انعقد حاجبا الرجل في غضب، والتفت إلى (نور) في حركة حادة، صائحًا :

ـ لو أنك تتصور أن منصبك ..

قاطعه (نور) في غضب صارم :

ـ الرسم الهندسي أيها المهندس .. قم بعملك، ولاتضيع الوقت في مناقشات سخيفة تافهة، لاطائل خلفها .

احتقن وجه الرجل في شدة، وانفرجت شفتاه، وكأنه يهمّ بقول شيء ما، عندما اندفع أحد رجال الحراسة إلى المكان، هاتفًا في انفعال :

ـ سيادة الرائد .. هل رأيت ما تنقله شاشات الهولوفيزيون ؟

قالها وقفز إلى جهاز هولوفيزيون صغير، على مقربة من المهندس، وأشعله بضغطة زر واحدة، فتجسّم خلف شاشته مشهد كامل لقاعة المحاكمة، والآلي يقف وسطها، مواجهًا رجال الأمن في لامبالاة، وهو يقول للقاضي بصوت معدني صارم :

ـ أنت تعلم أن هذا الرجل تاجر مخدرات، وهاأنتذا تطلق سراحه .

ارتجف القاضي، مرتدًا :

ـ إنه القانون .

واندفع أحد رجال الأمن نحو الآلي، هاتفًا :

ـ ليس من حقك دخول القاعة بهذه الوسيلة .. أنت .

قفزت (مشيرة) صارخة :

ـ لا .. لاتهاجمه .

ولكن تحذيرها جاء بعد فوات، إذ تحرّك الآلي في سرعة، أمسك معصم رجل الأمن بقبضته المعدنية، ثم لواه في عنف، أطلق رجل الأمن صرخة ألم هائلة، امتزجت بصوت عظام معصمه، وهي تتحطم، فارتفعت فوهات مسدسات كل رجال الأمن الباقين، وصرخت (مشيرة) بصوت أعلى، وذعر شديد :

ـ لا .. لاتطلقوا الأشعة وسط الناس .

التفت إليها الآلي، وتطلع إليها لحظة، قبل أن يدفع رجل الأمن بعيدًا، وسط حالة الذعر والرعب، التي سادت القاعة ..

ولم ينتظر (نور) أكثر ..

لقد اندفع خارج حجرة المهندس، وانطلق يعدو عبر أروقة المستشفى بأقصى سرعته، وسط دهشة الجميع، حتى بلغ سيارته الصاروخية، فوثب داخلها، وانطلق بها على الفور ..

وفي صدره، راح قلبه يخفق في عنف ..

ها هي ذي المواجهة أخيرًا ..

لقد قرّر الآلي الخروج في وضح النهار ..

وبدأ المواجهة المباشرة ..

وهذا يريحه هو أكثر ..

إنه يفضّل المواجهات العلنية، فالغموض فيها أقل ..

ولكن هل يمكنه حسم الموقف، في هذه المواجهة ؟..

هل يمكنه هذا حقًا ؟..

في نفس الوقت الذى استغرقه فيه التفكير ، وهو ينطلق بسيارته نحو قاعة المحاكمات الكبرى ، كان الآلى يقول للقاضى :

ـ القانون على خطأ .. المجرم هو المجرم ، لايمكن تركه حرًا ، ليعيث الفساد فى المجتمع .. لن يحتمل العالم الجديد هذا التهاون المخيف ، فى حقوق الأبرياء .. المجرم مجرّد حشرة ، ينبغى سحقها بالأقدام ، حتى لاتؤذى المجتمع .

انكمش القاضى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ القانون هو القانون ، وليس من حقى ، أو من حق غير أن ..

صرخ الآلى فى غضب :

ـ خطأ .. خطأ فادح .

ورفع ذراعه فى غمرة الغضب ، وأطلق من المدفع الليزرى الصغير المثبت فيها طلقة من أشعة الليزر ، نسفت تمثال ميزان العدل ، المثبت على الحائط ، فتفجّر فى مساحة ضخمة ، وتناثرت شظاياه فى القاعة ، وسط ذعر هائل ، جعل القضاة يتراجعون إلى حجرتهم ، ورواد القاعة يعدون خارجها فى رعب ، حتى لم يعد بها سوى رجال الأمن والحراسة ، وفريق أنباء الفيديو ، والمتهم (ماجد منصور) ، الذى راح يصرخ داخل زنزانته الإلكترونية :

ـ لاتتركونى وحدى .. أخرجونى من هنا .. لاتتركونى وحدى .

ولكن أحدًا لم يلتفت إليه فى هذه اللحظة ، فقد بدأ رجال الأمن يطلقون أشعتهم على الآلى ، ورئيس فريق التصوير يهتف برجاله :

ـ لاتتوقفوا .. التقطوا صور كل شىء .. لاتتوقفوا .

أما (مشيرة) ، فقد التصقت بالحائط فى رعب ، وهى تتابع ذلك المشهد ، عندما ارتدت خيوط الأشعة من صدر الآلى ، الذى رفع ذراعيه فى غضب ، وراح يطلق أشعة مدفعية الليزريين الصغيرين على رجال الأمن ، ويرديهم قتلى بلا رحمة ..

وتراجع فريق الأمن مضطرًا ، وانطلق رجاله يعدون خارج القاعة ، ورئيس فريق التصوير يهتف ، فى حماس جنونى :

ـ استمروا فى التصوير .. لاتتوقفوا .

ثم انحبست العبارة فى حلقه ، عندما التفت إليهم الآلى ..

ولثوان تجمّدت الدماء فى عروق المصوّرين ، ورنّت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ لا .. لاتفعلها .

خيّل إليها أن الآلى قد سمع عبارتها ، واستمع إلى رغبتها ، فأدار عينيه عن الفريق ، وتطلّع إلى (ماجد منصور) ، الذى التصق بجدران الزنزانة ، قائلًا فى رعب :

ـ لا .. لاتفعل بى هذا .

تقدّم الآلى نحوه فى بطء ، وتركّزت عيناه الآليتان على وجه (ماجد) ، ثم انطلقت من ذراعه طلقة من أشعة الليزر ، حطمت

رتاج الزنزانة الإليكترونية ، فانفتح بابها فى عنف ، وصرخ (ماجد) :

ـ لا .. اتركنى .. لاشأن لك بى .. هذا غير قانونى .. غير قانونى .

جذبه الآلى من سترته ، وقال بصوته المعدنى المخيف :

ـ أنت تستحق القتل .

قاوم (ماجد) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ لا .. لا .. اتركنى وشأنى .

ضمّ الآلى قبضته الفولاذية ، وهو يكرّر :

ـ أنت تستحق القتل .

رفع قبضته فى صرامة ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها صوت حازم يقول :

ـ ليس هذا من حقك .

التفت الآلى بحركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على صاحبه ..

على (نور) ..

وكانت المواجهة .

* * *

٦ ـ المواجهة ..

عبر الدكتور (ناظم) أحد ممرات إدارة المخابرات العلمية فى سرعة بالغة ، أقرب إلى العدو ، وتوقّف أمام حجرة القائد الأعلى لاهثًا ، وهو يضغط زر جهاز الأمن الخاص ، ثم يتوقّف وسط دائرة خاصة ، فى نفس الوقت الذى انبعث فيه ضوء وردى خافت ، راح يفحص جسده بدائرة ضوئية خاصة ، حتى تركّز على عينيه ، وراح يدرس خطوط قزحيته فى سرعة ، قبل أن ترتسم على شاشة صغيرة أمامه عبارة تقول :

ـ الدكتور (ناظم) .. التحليل ايجابى .

وهنا اختفى الضوء الوردى ، وظهرت على شاشة الأمن صورة القائد الأعلى وهو يقول :

ـ ماذا هناك يادكتور (ناظم) ؟

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـ الآلى .. لقد ظهر فى قاعة المحاكمات الكبرى ، والهولوفيزيون ينقل صورته إلى (مصر) كلها .

انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، فاندفع (ناظم) داخلها ، وهو يكمل :

ـ المشكلة أن (نور) يواجهه هناك .

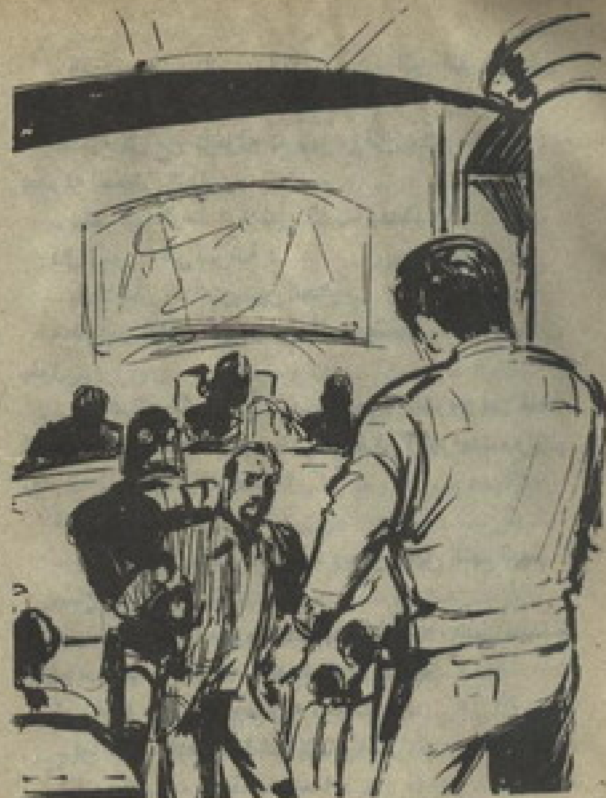
انتفض القائد الأعلى فوق مقعده ، وهتف :

- يواجهه ؟!.. ألم تبلغ (نور) بالتطورات الجديدة ؟
هز الرجل رأسه نفيًا ، وقال :
- لم تكن هناك فرصة سانحة لهذا .. إننا لم نتسلم ذلك الإنذار إلا منذ أقل من ساعة ، وفكرت فى انتظار عودة (نور) ، و ..
هتف القائد الأعلى :
- خطأ .. كان ينبغى إبلاغه الأمر على الفور .
ثم دق سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى صرامة :
- ابحث عن وسيلة سريعة لإبلاغ (نور) بالأمر ، قبل أن تحدث الكارثة .. ينبغى أن يعلم أن المواجهة المباشرة مع ذلك الآلى ، ستؤدى إلى نتيجة واحدة فحسب .
وارتجف صوته ، وهو يضيف :
- إلى نسف (القاهرة الجديدة) .. نسفها عن آخرها ..

* * *

لو أردنا إطلاق وصف دقيق ، على المناخ الذى ساد فى القاعة ، بعد أن ألقى (نور) عبارته ، لقلنا أن الموقف كله كان أشبه بلقطة صامتة ساكنة ، فى فيلم من أفلام الإثارة ، فقد التفت الآلى إلى (نور) ، وتجمد فريق التصوير فى مكانه ، ونقلت الآلات الهولوجرافية صورة (نور) ، وهو يصوب مسدسه الليزرى إلى الآلى ..
ثم كان (ماجد منصور) هو أول من كسر سكون اللقطة وصمتها ، عندما لوح بذراعيه ، صارخًا فى هلع :

- النجدة أيها الرائد .. أنقذنى من براثن ذلك الوحش الآلى .. النجدة !
تجاهله كل من بالقاعة تقريبًا ، وقال الآلى لـ (نور) ، بصوته المعدنى الرنان :
- ابتعد أيها الرائد .. لاشأن لك بما يحدث هنا .
قال (نور) فى صرامة :
- بل لاشأن لك أنت بسير العدالة .
انطلق من الآلى رنين معدنى ، أشبه بضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :
- أية عدالة تلك ، التى تسمح للمجرم بالخروج من قاعة المحاكمة حرًا طليقًا ، بسبب خطإ بسيط فى الإجراءات ، والكل يعلم أنه تاجر مخدرات حقير ؟
قال (نور) :
- هذا القانون يحمى الأبرياء ، ويمنع تلفيق التهم إليهم .
صاح الآلى فى غضب :
- وإطلاق سراح مجرم كهذا يهدد الأبرياء ، الذين سينتشر بينهم سمومه ومخدراته ، ليفسد العالم الجديد .
ثم رفع (ماجد) من سترته ، مستطردًا :
- أما قتله ، فيحل المشكلة كلها .
هتف (نور) ، ملوحًا بمسدسه :
- إننى أمنعك من قتله .
ضم الآلى قبضته ، قائلاً :



انطلق من الآلى رنين معدنى ، أشبه بضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :
ـ أية عدالة تلك ، التى تسمح للمجرم بالخروج من قاعة المحاكمة حرًا طليقًا ..

ـ حاول أيها الرائد .. حاول .

صرخ (ماجد) :

ـ انقذنى أيها الرائد .. انقذنى وخذ ثروتى كلها .

قال الآلى فى صرامة :

ـ إذهب مع ثروتك إلى الجحيم .

وهنا صاح (نور) :

ـ قلت إننى أمنعك .

وأطلق أشعة مسدسه ..

لم يطلقها نحو الآلى ؛ لثقته فى أنها سترتد عن صدره ، دون أن تؤذيه كالمعتاد ، وإنما أطلقها على ذلك الجزء ، الذى يمسك به من سترة (ماجد) ، فقطع خيط الأشعة ذلك الجزء ، وسقط جسد (ماجد) ، متحرّرًا من قبضة الآلى ، الذى هتف غاضبًا :

ـ أنت أردت هذا أيها الرائد .

تراجع (نور) فى سرعة ، ورأى الآلى يرفع ذراعه نحوه ، فقفز جانبًا ، ورأى خيط الأشعة القاتلة يتجاوزه ببضعة سنتيمترات ، قبل أن يرتطم بالحائط من خلفه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (ماجد) يعدو عبر القاعة ، صارخًا :

ـ النجدة ! النجدة !

التفت إليه الآلى فى بطء ، ورفع ذراعه نحوه ، وأطلق أشعته ..

وارتطمت خيوط الأشعة القاتلة بظهر (ماجد) ، الذى أطلق صرخة مدوية ، واندفع جسده إلى الأمام فى عنف ، ثم سقط

على وجهه جثة هامدة ، فقفز (نور) واقفًا على قدميه ، وصاح وهو يطلق أشعته نحو الآلى :

ـ أيها القاتل ..

وأصابت الأشعة هدفها تمامًا ..

أصابت واحدة من آلتى تصوير الفيديو ، فى موضع عينى الآلى ، وحطمتها مباشرة ، فصاح الآلى غاضبًا :

ـ إذن فأنت تسعى إلى القتال أيها الرائد .

أطلق (نور) أشعته مرة أخرى ، على آلة التصوير الثانية ، قائلًا :

ـ نعم .. أنا أسعى إليه .

أصابت الأشعة الأخرى هدفها أيضًا ، وتحطمت الآلة الثانية ، فصرخ الآلى :

ـ حسنًا أيها الرائد .. أنت أردت هذا .

وانطلقت من صدره حزمة ضخمة من الليزر ، تنسف أحد جدران القاعة ، و (نور) يعدو مبتعدًا ، وتناثرت الشظايا فى كل مكان ، وهتف رئيس فريق التصوير فى ذعر :

ـ إنه سيقتلنا .. سيقتلنا جميعًا .

صرخت (مشيرة) فى رعب :

ـ لا .. لا يا (أكرم) .. لا

توقف الآلى فجأة ، وأدار وجهه فى بطء ، وكأنه يبحث عنها ، ثم تجمد فى مكانه لحظات ، وكأنه يفكر فى عمق ، قبل أن يرفع ذراعيه إلى أعلى ، ويطلق أشعة الليزر فى كثافة على

السقف ، الذى تحطمت فى منتصفه دائرة كبيرة ، فضغط الآلى زر حزام الطيران ، وانطلق عبرها إلى الخارج ، والغلاف المحيط بجسده يتلون فى سرعة ، متخذًا نفس ألوان السماء الزرقاء ، حتى اختفى ..

وهنا ساد القاعة صمت من نوع جديد ..

صمت الدهشة والحيرة ..

وتطلع الجميع إلى (مشيرة) فى دهشة ، قبل أن يقول رئيس الفريق بصوت مختنق :

ـ أوقفوا البث .

وفى نفس اللحظة سمع (نور) أزيزًا خافتًا ، من ساعة يده ، أعقبته ذبذبات ذات إيقاع منتظم ، ترددت من الساعة إلى معصمه ، حاملة رسالة من إدارة المخابرات العلمية ، تمنعه من مقاتلة الآلى ، وتطالبه بالذهاب إلى إدارة المخابرات على الفور ..

وتلقى (نور) الرسالة كلها فى صمت ، ثم عاد يتطلع إلى (مشيرة) ، التى كانت أشد الجميع بؤسًا وشقاء ..

لقد تأكدت الآن فقط أن الآلى هو (أكرم) ..

تأكدت تمامًا ..

* * *

جلس (رمزى) فى سيارته صامتًا ساكنًا ، يراقب المدخل الخلفى المهجور للمستشفى المركزى ، والذى تم إغلاقه تمامًا ، منذ رحل الغزاة عن الأرض ، اكتفاء بالمدخل الرئيسى ، بعد أن

تهدمت المبانى الملحقة به ، وتناثرت أطلالها أمامه ، ولم يتم رفعها عنه حتى ذلك الحين ..

كان قد تابع ما حدث على شاشة الهولوفيزيون ، وأدرك أن القتال سينتهى حتمًا لصالح ذلك الآلى ، الذى لن يلبث أن يهرع إلى مخبئه ..

وكان يتوقع أن يكون هذا المخبأ داخل المستشفى المركزى ..

ولم يطل انتظاره ، بعد انقطاع البث من قاعة المحاكمات الكبرى ..

لقد رأى ذلك الآلى يندفع طائرًا ، نحو الأطلال المطلة على الباب الخلفى للمستشفى ، ثم ينخفض على نحو مباغت ، ويعبر نافذة مفتوحة ، فى الطابق الرابع ..

وبسرعة كبيرة ، غادر (رمزى) سيارته ، وأسرع الخطا نحو الباب الخلفى للمستشفى ، وتطلع إلى النوافذ المطلة عليه ، ورصد النافذة ، التى دخل منها الآلى ..

كانت رابع نافذة إلى اليمين ، فى الطابق الرابع ..

وفى ارتياح ، عاد (رمزى) إلى سيارته ، ودار بها دورة واسعة حول المستشفى ، حتى بلغ بابها الرئيسى ، فعبره إلى ساحة انتظار السيارات الكبرى بها ، وأوقف سيارته ، ثم غادرها فى سرعة ، واستخدم بطاقته الطبية للدخول إلى المستشفى ، ثم استقل المصعد إلى الطابق الرابع ، وهناك راح يحصى الحجرات ؛ ليعلم أية حجرة تلك ، التى دخلها ذلك الآلى ..

وعندما بلغ الحجرة الرابعة ، اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يقرأ الاسم المدوّن عليها ، ووجد نفسه يردد ذاهلًا :

ـ مستحيل !.

مضت لحظات ، وهو يحدق فى اللوحة ، ثم دق الباب فى تردد ، فسمع صوتًا مألوفًا من داخلها ، يقول :

ـ ادخل .

دفع الباب فى رهبة ، ودلف إلى الحجرة ، فنهضت الدكتورة (جيهان) من خلف مكتبها تستقبله ، وهى تبتسم قائلة :

ـ دكتور (رمزى) .. مرحبًا بك فى مكتبى .

صافحها فى حذر ، وهو يدير عينيه فى مكتبها الخالى من الزوار ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا !.. تصورت لحظة أن لديك زائرًا .

هزت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلا .. لم أستقبل زوارًا هذا الصباح .

قال فى دهشة :

ـ حقًا ؟!

كاد يسألها عن ذلك الزائر ، الذى أتاها عبر النافذة ، إلا أنه أحجم عن هذا فى اللحظة الأخيرة ، وقال :

ـ هل شاهدت ما حدث ، فى قاعة المحاكمات الكبرى ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ مصيبة كبرى أن يتم نقل هذا على الهواء مباشرة .. سيصاب المجتمع كله بالذعر .

رمقها بنظرة فاحصة ، وهو يقول :

ـ الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الذعر ، هى إلقاء القبض على ذلك الآلى أو تحطيمه .

وافقته فى حماس ، وأضافت :

ـ لن أنسى مهاجمته لى قط هنا .. لقد كاد يقتل (هيثم) .

سألها فى اهتمام :

ـ بالمناسبة .. أين (هيثم) ؟

أجابته فى بساطة :

ـ اليوم إجازته ، فهو يعمل بطاقة كبيرة ، ويحتاج إلى يومين على الأقل كإجازة أسبوعية .

قال فى حذر :

ـ هناك من يحصلون على إجازة مماثلة ، دون تأدية عمل يذكر .

هتفت :

ـ إننى أبغض مثل هؤلاء .

ولوحت بكفها ، مستطردة :

ـ المؤسف أن القانون يعجز عن معاقبة هؤلاء الأوغاد ، بسبب قصور مواده ، ولائحة العقوبات فيه .

لم يجد مايعلق به على عبارتها ، فلاذ بالصمت لحظات ، وهى تنتظر حديثه ، ثم لم تلبث أن ابتسمت قائلة :

ـ مارأيك فى قدح من الشاى ؟

أجابها فى خفوت :

ـ سيكون هذا رائعا .

نهضت من خلف مكتبها ، قائلة :

ـ سأعده بنفسى ، فالعاملة متغيبة اليوم أيضا .

غادرت مكتبها إلى المعمل الصغير الملحق به ، وتركت (رمزى) وحده فى حجرتها ، فبقى ساكنا لحظات ، ثم نهض من مقعده فى حذر ، واتجه إلى النافذة ، وتطلع منها إلى الأطلال الخلفية ، وتأكد من أنها نفس النافذة ، التى شاهد الآلى يدخل منها ، فغمغم :

ـ عجبا !.. أين ذهب ؟

عاد يفحص الحجرة فى اهتمام ، حتى توقف أمام الدولاب الخاص بالدكتورة (جيهان) ، وتردد لحظة ، ثم فتحه ، وتطلع إلى محتوياته القليلة ، التى لاتتناسب مع سعته وعمقه ، ومد يده يبحث عن أى شىء داخله ، و ...

وفجأة ارتطمت يده بشىء ما ..

واتسعت عيناه فى دهشة ..

كان هناك شىء ما يحتل فراغ الدولاب ، ولكنه يعجز عن تمييزه ..

ثم أدرك بغتة طبيعة هذا الشىء ..

وسرت فى جسده قشعريرة عجيبة ..

وفى توتر شديد ، راح يتحسس ذلك الجسد المعدنى الجامد ، الذى انتحل ألوان الدولاب فى دقة مدهشة ، وتمتم :

ـ مستحيل !.. من يتصور هذا ؟.

انتفض جسده كله ، عندما سمع من خلفه صوتًا غاضبًا يقول :

ـ أخطأت بفضولك هذا .

التفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، والتقت عيناه بعينى الدكتورة (جيهان) لحظة ، قبل أن تنغرس إبرة المحقن فى ذراعه ، وتظلم الدنيا أمام عينيه ، و ...

وينتهى كل شىء ..

* * *

تنفس القائد الأعلى الصعداء ، عندما رأى (نور) يدلف إلى حجرته ، وهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك أيها الرائد .. لقد هوى قلبى بين ضلوعى ، وأنا أشاهد تلك المواجهة ، بينك وبين ذلك الآلى ، فى قاعة المحاكمات الكبرى .

قال (نور) :

ـ أما أنا فشعرت بدهشة بالغة ، عندما تلقيت الأمر بالتوقف عن الاشتباك معه ياسيدى ، ولولا ثقتى فى أن الشفرة التى نستخدمها بالغة السرية ، لايعلمها سوانا ، لشككت فى أنها خدعة .

هز الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ هذا لأنك لم تكن تعلم بتطورات الموقف يا (نور) ، ولم تكن تدرك أن اشتباكك مع ذلك الآلى ، قد يؤدى إلى نسف (القاهرة الجديدة) كلها .



التفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، والتقت عيناه بعينى الدكتورة (جيهان) لحظة ، قبل أن تنغرس إبرة المحقن فى ذراعه ..

عقد (نور) حاجبيه في توتر ، وهو يقول :

- نسف (القاهرة الجديدة) كلها ؟! .. ماذا تعني ياسيدي ؟

تبادل الدكتور (ناظم) نظرة طويلة مع القائد الأعلى ، قبل أن يقول الأخير في حسم :

- لقد استولى الآلي على قنبلتنا النووية الوحيدة أيها الرائد .

هتف (نور) كالمصعوق :

- ماذا ؟!

أسرع الدكتور (ناظم) يضيف :

- ولقد تلقينا من ذلك الآلي رسالة تهديد ، ينذرنا فيها بتفجير القنبلة النووية ، في حالة مهاجمتنا له ، أو تصدينا لمهمته .

ردد (نور) في توتر :

- مهمته ؟! .. وهل أفصح عن طبيعة مهمته ؟

قال القائد الأعلى :

- كنت أظنك قد أدركتها يافتى .

ثم ناوله رسالة الآلي ، فالتقطها (نور) في اهتمام ، وقرأ فيها :

- من مواطن مخلص ، إلى كل مسئول في (مصر) .. لقد لاحظت تهاونكم في تطبيق وتحقيق العدالة ، وأدركت أنه من المستحيل أن يتحقق صالح المجتمع على أيديكم ، وأنتم تتشبثون بقوانين قديمة ، وعدالة زائفة ، لذا فقد نصبت نفسي حاميًا للعدالة ، بإرادتكم أو رغمًا عن أنفكم ، وسأقيم العدالة

الحقة ، بغض النظر عن قانونكم المكتوب ، أما لو حاولتم منعي من إتمام مهمتي ، أو التصدي لها ، فلن يكون أمامي سوى إشعال تلك القنبلة النووية التي استوليت عليها منكم ، والتي طورتها بحيث صارت جزءًا من تكويني ، وستتحملون كلكم مسئولية اشعالها ، أمام المجتمع الدولي والتاريخ .

انتهت الرسالة دون توقيع ، وتأكد (نور) من أنها مكتوبة بواسطة الكمبيوتر ، على ورق عادي ، ثم قال في غضب :

- إذن فهذا الوغد يرغب في تحقيق العدالة ، بتحطيم القانون .. أي عبث هذا ؟

قال القائد الأعلى في مرارة :

- المشكلة أننا نعجز فعليًا عن التصدي له .

التقى حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

- اطمئن ياسيدي .. سنجد حتمًا وسيلة للتصدي له .. هذا ما علمتني إياه الحياة .. أن الحق هو الذي ينتصر دائمًا في النهاية .. الحق وحده .

* * *

كان مدير المستشفى المركزي يهم بالانصراف ، بعد يوم شاق ، عندما اقتحم أحد رجال الأمن مكتبه ، وهتف في توتر :

- سيدي .. لقد وقع حادث جديد بالمستشفى .

انتفض الرجل ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يهتف :

- حادث جديد ؟! .. أي حادث هذا ؟

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :

ـ قتل ياسيدى .. جريمة قتل .

شعر المدير بقلبه يهوى بين قدميه ، اللتين تخاذلتا ، وتركتا جسده الضخم يهوى على مقعده ، وهو يرتد فى ارتياع :

ـ جريمة قتل أخرى ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم ياسيدى .. جريمة قتل أخرى ، وقد تم كشفها بالمصادفة البحتة .

شعر المدير بقلبه يخفق فى عنف ، وهو يسأله :

ـ من ؟.. من لقى مصرعه هذه المرة ؟

أجابه الرجل :

ـ المهندس ياسيدى .. مهندس المستشفى .. لقد عثرت عليه قتيلًا فى حجرته ، التى تبعثرت محتوياتها تمامًا ، فهرعت إلى هنا لأخبرك .

سأله المدير فى انهيار :

ـ وهل أبلغت الشرطة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ لم أبلغ سواك ياسيدى .

لعن المدير حظه العاثر ، وتلك الأيام السوداء ، التى تتوالى فيها الأحداث بلا شفقة أو هوادة ، وشعر بقدميه تعجزان عن حمله إلى حجرة المهندس ، وتمنى لو يقبل وزير الصحة

استقالته من هذا العمل ، ودارت عشرات الأفكار فى رأسه ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها بوق الانذار فى المستشفى ..

وفى هلع ، تطلّع المدير إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وقرأ على شاشته مايفيد بوقوع حريق فى المستشفى ..

وفى حجرة المهندس بالتحديد ..

وكان من الواضح أن الليلة لن تنتهى على خير ..

أو لن تنتهى أبدًا .

* * *



٧ ـ من ضربة إلى ضربة ..

التقط (نور) أنبوبة الليزر الصغيرة ، من يد ابنته (نشوى) ، وفحصها بعينيه فى هدوء ، ثم قال :

ـ آلة تصوير هولوجرافية !! .. إذن فهذا هو سبب تحطيمه لاطار النافذة عمدًا .

تطلعت (سلوى) الى وجه زوجها الشاحب الباهت ، وقالت مشفقة :

ـ دعك من كل هذا الآن يا (نور) .. إنك تحتاج إلى النوم بشدة .. أى بشرىّ لايمكنه مواصلة العمل هكذا بلا انقطاع .. هيا .. اذهب إلى فراشك ، وأعدك أن نوقظك ، إذا ما استجدّ جديد .

تمتم فى إرهاق واضح :

ـ سأحاول يا (سلوى) .. سأحاول .

قال (محمود) :

ـ بل ينبغى أن تفعل يا (نور) .. هناك أمور لايصلح فيها العناد والمكابرة .

كان (نور) يشعر أنهم جميعًا على حق هذه المرة ..

لقد أصابه الارهاق والاجهاد حتى النخاع ، وفقد عقله قدرته

على التركيز والتفكير ، وأصبحت حتى قيادة سيارته الصاروخية أمرًا مرهقًا مضنيًا ..

وهو يحتاج إلى تجديد نشاطه ..

والى تنقية ذهنه وفكره ..

وفى استسلام ، قال :

ـ نعم .. أنتم على حق .

ثم اتجه بأقدام ثقيلة إلى حجرة نومه ، وقبل أن يدلف إليها التفت اليهم ، ورفع سبابته لينطق بشىء ما ، فأسرعت (سلوى) تقول :

ـ سنوقظك .. أعدك بهذا ..

لم يستطع حتى إبدال ثيابه .. فاكتفى بخلع حذائه ، وألقى جسده المكدود على الفراش ، ولم تمض لحظات ، حتى كان يغرق فى سبات عميق ..

وفى حنان مشفق ، غمغمت (سلوى) :

ـ كان يحتاج الى هذا كثيرًا .

وافقها (محمود) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ إنه يواجه قضية بالغة الصعوبة بالفعل هذه المرة .

قالت (نشوى) فى حسم :

ـ كلنا يواجهها يا (محمود) .. لاتنس أننا فريق واحد .

التقطت (سلوى) العبارة ، وقالت :

ـ ما رأيكم لو بحثنا معًا عن وسيلة مناسبة ، للإيقاع بذلك الآلى ؟

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ أوافق بشدة ، وأعتقد أن لدى اقتراحًا محددًا .

سألها (محمود) فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

أجابت وحماسها يتزايد :

ـ هل تذكرون قاعة الموجات الكهرومغنطيسية ، التى صنعها رجال مركز الأبحاث حديثًا ، لإجراء تجارب الشوشرة الجديدة ؟

أجابها (محمود) :

ـ بالطبع .. إنها تلك القاعة الواسعة ، المتاخمة للإدارة .

قالت فى حرارة :

ـ نحن نعلم طبيعتها ، وكذلك بعض رجال الإدارة ، أما العامة فهم يتصوَّرون أنها مجرد مبنى جديد ، يتم إضافته للمبنى الرئيسى ، ويجهلون طبيعتها .. أليس كذلك ؟

أومأ مع (سلوى) برأسيهما ، فتابعت هى فى حماس :

ـ هذه القاعة ستكون المصيدة ، التى نوقع فيها بالرجل .

تألقت عينا (محمود) و(سلوى) ، وهتفت الأخيرة فى حماس :

ـ فهمت .. إننا سنـ ..

قبل أن تتم عبارتها ، خفتت أضواء الردهة فجأة ، ثم عادت تتألق من جديد ، فارتبكت (سلوى) فى شدة ، وتبادلت نظرة جزعة مع (نشوى) و(محمود) ، وغمغمت :

ـ إنه لم يستمتع بالنوم بعد .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ ولكننا وعدناه .

ران صمت ثقيل على المكان ، ثم اتجهت (سلوى) فى حزم إلى مكتبة صغيرة ، فى ركن الحجرة ، وأزاحت بعض الكتب منها ، وهى تقول :

ـ فلنعلم طبيعة المهمة أولاً ، ثم نقرر ماينبغى أن نفعله ، على ضوء هذا .

وجذبت إليها شاشة كمبيوتر صغيرة ، كانت تختفى خلف الكتب ، وضغطت أحد أزرارها ، فتراصت فوقها بعض الكلمات ، قرأتها فى سرعة ، قبل أن تقول :

ـ إنه حريق بالمستشفى المركزى .. أعتقد أننا نستطيع القيام بهذا العمل .

اعترضت (نشوى) قائلة :

ـ أماه ! .. لقد وعدنا أبى بإيقاظه ، إذا ما احتاج الأمر إلى هذا ، و ...

قاطعتها (سلوى) فى صرامة :

ـ إنه مجرَّد حريق عادى يا (نشوى) ، ولن أوقظ (نور) من أجله .. دعيه ينعم بالنوم قليلاً يا بنيتى ، وسيكون كل شىء على مايرام .. ثقى بى .

لم تعترض (نشوى) مرة أخرى ..

ولكنها لم تشعر بالارتياح ..

لقد ظل القلق يملأ نفسها ، حتى وصلت مع أمها و (محمود) إلى المستشفى ، وهناك استقبلهم المدير فى لهفة ، وهو يقول :

- أين الرائد (نور) ؟

أجابته (سلوى) :

- إنه فى مهمة خاصة ، وسندرس نحن الأمر .. اطمئن .. إننا جزء من فريقه .

تردد الرجل لحظة ، ثم حسم أمره فى سرعة ، وقال :

- لابأس .. سأريكم حجرة المهندس .. من حسن حظنا أن وسائل الأمن الآلية قد سيطرت على الحريق فى سرعة ، ولكن بعد أن التهم عددًا من الوثائق الهامة ، واسطوانات الكمبيوتر الخاصة .

سأله (محمود) ، وهم يتجهون إلى حجرة المهندس :

- وما سبب الحريق ؟

هزَّ المدير كتفيه ، قائلاً :

- لاأحد يدرى .. لم يبدأ الخبراء فحصهم بعد .

وصل الجميع إلى الحجرة ، وتوقفوا مبهوتين ، أمام الفوضى والدمار ، اللذين حاقا بها ، وغمغمت (نشوى) :

- من الواضح أن الحريق كان متعمدًا ، وأعتقد أن مفتعله كان يسعى لتدمير شىء ما .

غمغم المدير :

- إننا نرجح هذا ، ولكن لاأحد يعلم ماهذا الشىء .

أتاه صوت من خلفه يقول :

- أنا أعلم .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وشهقت (سلوى) هاتفة :

- (نور) ؟!

رمقها (نور) بنظرة غاضبة ، وقال :

- كان ينبغى إيقاظى .

تمتمت شاحبة :

- كيف علمت ؟

أشار إلى ساعة معصمه ، مجيبًا :

- إننى أتلقى أكثر من إشارة عادة .

كان يبدو شديد الشحوب والإرهاق ، ولكنه التفت إلى المدير ، يسأله :

- هل احترق الرسم الهندسى للمستشفى ؟

أجابه المدير :

- لست أدرى .. لم نحصر الخسائر بعد .

قال (نور) :

- ولكننى أعتقد أنه السبب الحقيقى للحريق .

شعرت (نشوى) بالضيق وبتأنيب الضمير ، لأنها لم توقظ والدها ، فتركته يتحدث مع المدير ، واتجهت إلى النافذة ، تتطلع منها إلى فناء المستشفى ، فى محاولة لكتمان توترها وضيقها ..

وفجأة لمحتها ..
لمحت سيارة (رمزى) ، التى تقف وسط سيارات الأطباء والزوار ..
وفجأة أيضا هتفت :
ـ (رمزى) ؟!
التفت إليها الجميع فى تساؤل ، وقال (نور) :
ـ هل وصل (رمزى) ؟
أشارت إلى السيارة ، قائلة :
ـ بل هو هنا منذ فترة طويلة ، فسيارته هنا ، وموضعها يشير إلى أنها تقف فى مكانها منذ ساعة على الأقل .
تحرك (نور) فى سرعة إلى النافذة ، وألقى منها نظرة على سيارة (رمزى) ، ثم التقى حاجباه فى شدة ، وراح ذهنه المكدود يعمل بأقصى طاقته ، قبل أن يهتف :
ـ يا إلهى !
ثم اندفع يعدو فجأة خارج الحجرة ، والمدير يهتف فى دهشة :
ـ إلى أين أيها الرائد ؟
واصل (نور) عدوه ، دون أن يجيب ، وأسرع (محمود) و(سلوى) و(نشوى) خلفه ، وقلب الأخيرة يخفق فى خوف ولوعة ، مدركا أن (رمزى) يتعرض لخطر ما ، والتقى الأربعة بالدكتورة (جيهان) ، بالقرب من حجرات الطوارئ ، فسألها (نور) فى انفعال:

ـ (جيهان) .. هل رأيت (رمزى) اليوم ؟
أجابته فى توتر :
ـ نعم .. لقد حضر لزيارتى اليوم ، ولكننى ذهبت لأعد له قدحا من الشاى ، وعدت فلم أجده .. لاريب أنه رحل ..
هتفت (نشوى) فى ذعر :
ـ لا .. لم يرحل .. سيارته لاتزال هنا .
ظهرت الحيرة على وجه (جيهان) ، وهى تقول :
ـ أين ذهبت إذن ؟
قال (نور) فى حزم ، وهو يتجه إلى حجرة العناية المركزة ، التى اختفى فيها (أكرم) :
ـ ربما أعرف أنا أين .
اقتحم الحجرة فى انفعال ، وأدار عينيه فيها بسرعة ، ثم استقر بصره عند جدارها الوحيد ، الذى يخلو من أجهزة المراقبة والمتابعة الحيوية ، وأشار إليه قائلا :
ـ هنا .
تطلع الجميع إلى حيث يشير ، وقالت (نشوى) :
ـ وماذا هناك ؟
التفت (نور) إلى (جيهان) وسألها :
ـ ألديكم هنا أية أجهزة للفحص بالموجات فوق الصوتية ؟
أجابته فى حيرة :
ـ نعم .. هاهوذا .
أشار (نور) إلى الجهاز ، وهو يقول لزوجته :

- (سلوى) .. حاولى استخدام هذا الجهاز ، للبحث عن شىء ما ، خلف هذا الجدار .

لم تفهم (سلوى) مايسعى إليه بالضبط ، ولكنها تقدمت من الجهاز ، وأشعلته ، ثم التقطت بوقه العريض ، وألصقته بالجدار ، وراحت تمرّره فوقه ، وهى تقول :

- لست أدرى ما إذا كانت موجات هذا الجهاز تكفى أم ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى شاشة الجهاز فى دهشة ، ثم هتفت :

- يا إلهى!.. توجد حجرة سرية ، خلف هذا الجدار .. انظروا .. ارتداد الموجات فوق الصوتية يختلف فى شدة .

بدا التوتر الشديد على وجه (جيهان) ، وهى تقول :

- حجرة سرية؟! .. أى قول هذا يا (سلوى)؟.. إننا فى مستشفى ، ولسنا فى قصر أسطورى مهجور ، حتى نجد حجرات سرية وممرات خفية .

قال (نور) فى حماس :

- ولكن هذه الحجرة موجودة يا (جيهان) .. إنها التفسير الوحيد لاختفاء (أكرم) من الحجرة ، دون أن يمر ببابها .

قالت فى عصبية :

- أنسيت أنه آلى ، وأنه يستطيع إخفاء نفسه عن الأعين ، بمحاكاة ألوان وأشكال الأشياء ، التى يلتصق بها .

قال (نور) :

- هذا صحيح ، ولكنه لايستطيع المرور من الأبواب دون فتحها ، ولايستطيع السير دون أن يصدر صوتًا .

ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً :

- هل يمكنك فتح هذه الحجرة السرية؟

أجابته فى سرعة :

- نعم .. لو عثرتم على رتاجها .

هتفت (سلوى) ، وهى تحرّك بوق جهاز الموجات فوق الصوتية :

- هاهوذا .. لقد عثرت عليه .

أسرعت (نشوى) تخرج من جيبها جهاز الكمبيوتر الصغير ، ودسّت خيطًا إليكترونيًا دقيقًا منه ، فى الثقب الذى عثرت عليه (سلوى) ، فى حين سألّ (محمود) (نور) فى دهشة :

- ولكن كيف استنتجت هذا يا (نور)؟

أجابه (نور) :

- كان هذا هو التبرير الوحيد لقتل مهندس المبنى ، وأحراق الوثائق الخاصة به ، فالرسوم الهندسية كانت ستكشف بسهولة وجود هذه الحجرة ، التى حاول البعض إخفاءها عن الأعين ، لاستغلالها فى أغراض خاصة .

مع نهاية كلماته ، هتفت (نشوى) :

- لقد نجحت .



وشهقت (نشوى) فى دهشة وهلع ، فأمام عينيها ، كان (رمزى) يرقد على فراش طبى صغير ..

وفى هدوء ، انزاح جزء من الحائط جانبًا ، وكشف تلك الحجرة السرية ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة وهلع ، فأمام عينيها ، كان (رمزى) يرقد على فراش طبى صغير ، وقد سقطت ذراعاه إلى جواره ، واكتسى وجهه بشحوب مخيف ..

شحوب الموتى ..

* * *

لثوان ، لم تستطع (نشوى) ، أو يستطيع أى شخص من الآخرين ، النطق بحرف واحد ، وهم يحدقون فى (رمزى) الصامت الساكن الشاحب ..

وأخيراً هتف (نور) :

- يا إلهى !.. (رمزى) ؟!

ارتجف جسد (نشوى) ، وتجمدت فى مكانها ، فى هلع ورعب ، فى حين اندفع (نور) و(محمود) وسلوى داخل الحجرة ، وأسرع (نور) يفحص (رمزى) ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- إنه حى .

وهنا .. هنافقط أجهشت (نشوى) بالبكاء .

لم تكن تتصور أبدًا أن تفقد (رمزى) ، على هذا النحو .

لم تكن لتحتمل قط فقدان الرجل الوحيد ، الذى أحبته ، فى حياتها كلها .

وبسرعة ، عادت إليها أمها ، واحتوتها بين ذراعيها ، وهى تقول :

ـ اهدأى يا (نشوى) .. اهدأى يا بنيتى .. إنه حى والحمد لله .

رفع (نور) رأسه ، وقال لـ(جيهان) فى توتر .

ـ ولكنه يحتاج إلى إسعاف عاجل وسريع ، فنبضه متسارع على نحو مخيف ، ومن المؤكد أنه يعانى هبوطًا حادًا فى ضغط الدم .

ترددت (جيهان) لحظة ، ثم قالت فى حسم :

ـ سأطلب رجال الإسعاف .

أسرعت تضغط أزرار الاستدعاء ، ولم تمض دقائق ، حتى كانت الحجرة تكتظ برجال الإسعاف ، والأمن ، وعدد من الأطباء ، ومدير المستشفى ، الذى كاد يسقط فاقد الوعى ، أمام كل هذا ، وراح يضرب كفًا بكف ، وهو يردد :

ـ ماذا أصاب هذا المستشفى؟!.. ماذا يحدث هنا بالله عليكم؟

لم ينتبه أحد إلى صراخه ، وقد انشغل الجميع فى فحص الحجرة السرية ، وإسعاف (رمزى) الذى بدأت الدماء تعود إلى وجهه تدريجيًا ، وإن لم يستعد وعيه بعد ، حتى قال أحد الأطباء فى ارتياح مجهد :

ـ سينجو بإذن الله .

أطلقت (نشوى) من حلقها صيحة قصيرة ، وهتفت من وسط دموعها :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (جيهان) ، فقد ظلت صامتة ، تراقب كل هذا فى توتر شديد ، ثم لم تلبث أن تراجعت ، وانسحبت من المكان ، وعادت إلى حجرتها فى خطوات سريعة ، ثم ألقت جسدها على مقعدها الخاص ، خلف مكتبها ، واعتمدت بمرفقيها على سطح المكتب ، ثم أسندت جبهتها إلى راحتها ، وأغلقت عينيها فى قوة ..

ولم تدر كيف بقيت على هذا الوضع ، ولكنها انتفضت فى فزع ، عندما شعرت بيد توضع على كتفها ، والتفتت إلى صاحب اليد فى حركة حادة ، جعلته يتراجع قائلًا :

ـ معذرة .. لم أقصد إفزاعك .

حدقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تهتف :

ـ (هيثم) .. لقد فاجأتنى بحق .

ارتبك وهو يقول :

ـ إننى أعتذر مرة أخرى .

لوحت بكفها ، وتنهدت قائلة :

ـ لا عليك .. لم يحدث ما يسوء .

تطلع إليها فى حنان مشفق ، ثم انحنى نحوها يسألها فى همس :

ـ ماذا بك؟

هزت رأسها متمتمة :

ـ لست أدرى يا (هيثم) .. أشعر بأعصابى متوترة للغاية ، ولكننى أجهل السبب .

جلس على المقعد المجاور لمكتبها ، وهو يسألها :

ـ هل يمكنك أن تصفى شعورك بالضبط ؟

ثم ابتسم ، مستطردًا فى رقة :

ـ واطمئنى .. لن أتقاضى أجرًا .

ابتسمت ابتسامة شاحبة متهالكة ، وهى تقول :

ـ نعم .. أعلم هذا .

اعتدل قائلاً :

ـ حسنًا .. صفى لى ما يقلقك إذن ، فربما أمكننى مداواتك .

شعرت بعقلها يكاد ينفجر فى أعماقها ، وهى تحاول استجماع أفكارها ، ثم قالت :

ـ لست أدرى يا (هيثم) .. إننى أعجز بالفعل عن وصف مشاعرى ، فهناك مشاهد وأصوات تتردد فى ذهنى ، وذكريات تمرّ مرورًا عابرًا بخاطرى ، وأعجز عن تمييز تفاصيلها ، فلا أدرى ما إذا كانت أضغاث أحلام ، أم أحداث حقيقية .. إن عقلى مرتبك فى شدة .. صدقنى .. أحيانًا أشعر بالرعب .

استمع إليها فى قلق ، ثم سألها :

ـ ماذا تقصدين بعجزك عن تمييز ما يحدث ؟

لوّحت بكفها ، قائلة :

ـ من المؤكد أنك تفهم ما أقصد ، فأنا أرى أحيانًا أشياء ، المفروض أننى أراها لأول مرة ، ولكننى أشعر بداخلى وكأننى رأيتها من قبل .. بل أننى المسئولة عن وجودها .. وهذا يتكرر كثيرًا ، فى الأيام السابقة بالتحديد .

تراجع بمقعده ، وتطلع إليها طويلاً ، قبل أن يقول :

ـ هل يمكنك تحديد بداية حدوث هذا ؟

هزّت رأسها ، وقالت :

ـ ربما منذ يومين أو ثلاثة .. أو أربعة على الأكثر .. لا يمكننى التحديد بدقة .

أومأ برأسه متفهمًا ، وتمتم فى خفوت ، وهو يتطلع إلى الأرض :

ـ ربما كنت بحاجة إلى علاج نفسى يا (جيهان) .

أجابته فى مرارة :

ـ أنا واثقة من هذا ، ولكننى أجهل ما أعانى منه .

ردّد فى خفوت :

ـ سكيزوفرانيا (*)

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

ـ أنا ؟!.. أتعنى أننى .

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن تتم عبارتها ، وقال :

ـ نعم يا (جيهان) .. أنت تحملين فى أعماقك شخصية أخرى .. شخصية تجهلين وجودها تمامًا .

وكانت المفاجأة قاسية .

* * *

(*) سكيزوفرانيا = الاسم العلمى لحالات انفصام الشخصية ، عندما يتحول الشخص فى أعماقه إلى شخصين منفصلين ، بسبب الضغوط النفسية أو الاجتماعية التى يتعرض لها فى حياته ، ويطلق عليها اسم (شيزوفرانيا) ، وهى تسمية خاطئة .

٨ ـ ضربة مزدوجة ..

استندت (نشوى) فى صمت إلى حاجز حجرة العناية المركزة ، وتطلعت بعينين دامعتين إلى (رمزى) ، وهو يرقد غائبًا عن الوعى، وقد اتصلت قارورة محاليل بأوردته ، وراح المحلول الشفاف ينساب إلى دمائه فى بطء .

كانت تعلم أنها تحبه ، كما لم تحب شخصاً من قبل .

وأنه يحبها ..

وربما أكثر مما تحبه هى ..

وفى صمت ، تركت دموعها تنساب على وجنتيها ، حتى سمعت صوت (جيهان) من خلفها ، تقول فى خفوت :

ـ اطمئنى .. سينجو بإذن الله ، فإصابته ليست بالخطيرة .

التفتت إليها (نشوى) ، تسألها فى أسى .

ـ لماذا تحتجزونه فى حجرة العناية المركزة إذن؟

هزت (جيهان) كتفيها ، وقالت :

ـ مجرد إجراء وقائى ، فهو هنا حتى يستعيد دمه فحسب .

عادت (نشوى) تتطلع إليه ، قائلة :

ـ وهل سيستعيده حقًا؟!

أجابتها (جيهان) :

ـ بإذن الله ، فلقد حقنه أحدهم بجرعة كبيرة من عقار

قوى ، مضاد لضغط الدم المرتفع ، فانخفض ضغط دمه إلى درجة بالغة الخطورة ، وكاد يلقى حتفه بالفعل ، لولا أن أنقذه والدك .

تمتمت (نشوى) :

ـ حمدًا لله .

ألقت (جيهان) نظرة طويلة على (رمزى) ، وانتابتها فجأة مشاعر متناقضة عجيبة ، راحت تتصارع فى ضراوة ، فى أعمق أعماقها ..

كانت ترغب فى إنقاذه من غيبوبته ، ولكن جزءًا منها كان يشعر وكأن نجاته تمثل خطورة شديدة عليها ..

واضطربت (جيهان) مع ذلك الصراع النفسى داخلها ، وراحت أصابعها ترتجف ، ثم هتفت فجأة ..

ـ لا .

التفتت إليها (نشوى) فى دهشة ، وسألتها فى قلق :

ـ ماذا حدث يا (جيهان)؟

حدقت فيها (جيهان) لحظة بعينين زائغتين ، ثم قالت فى حدة .

ـ لا شىء .. لم يحدث أى شىء .

ثم ألقت نظرة حادة على (رمزى) ، واندفعت مغادرة المكان فى عنف ، وراحت تقطع ممر المستشفى فى خطوات أقرب إلى العدو ، حتى بلغت حجرتها ، فأغلقت بابها خلفها فى قوة ، واستندت إليه وهى تلهث فى انفعال شديد ..

وراح الصراع فى أعماقها يقوى ويشتد ، وهى تتطلع فى خوف مبهم إلى دولابها الخاص ، وقلبها ينبض فى عنف ..

وفجأة راح اضطرابها يهدأ ويتلاشى فى بطء ، وهدأت أنفاسها اللاهثة ، ثم انخفضت ضربات قلبها ، واتجهت فى بطء نحو دولابها ، وفتحته .

وعلى الرغم من استحالة التمييز ، فقد كانت (جيهان) تعلم ماذا يختفى فى أعماق دولابها الخاص ..

إنه الزى ..

زى الآلى القاتل ..

* * *

لوحت (سلوى) بكفها فى حماس ، وهى تقول لـ(نور) :

ـ صدقنى يا (نور) .. إنها فكرة رائعة .. سنجتذب ذلك الآلى بوسيلة ما ، إلى قاعة الترددات الكهرومغنطيسية ، وهناك سنحيطه بغلاف من الطاقة ، نسجنه داخله ، ثم نستخدم الأسلحة الحديثة فى الإيقاع به .

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لايمكننا فعل هذا يا (سلوى) .

هتفت :

ـ لماذا ؟.. لقد درست الخطة مع (محمود) ، وكلانا يراها مثالية ، فسجنه داخل غلاف الطاقة ، يمكننا إحاطته بالغازات المنوِّمة ، أو السامة لو اقتضى الأمر ، ولمدة أسبوع متصل .. وهذا سيضطر للاستسلام حتمًا ، إلا لو كان رجلًا آليًا بالفعل .

أجابها وهو يسبل جفنيه ، ويسترخى فوق فراشه :

ـ إنه ليس آليًا ، ولقد أيقنت من هذا تمامًا ، عندما واجهته فى قاعة المحاكمات الكبرى ، فقد كان يغضب وينفعل ، ويأتى بردود أفعال بشرية ، لايمكن أن يمتلكها شخص آلى ، مهما بلغت دقة صنعه .

سألته فى فضول :

ـ وماذا عن صوته المعدنى الرنان؟

أجاب فى تراخ :

ـ إنه يستخدم جهازًا خاصًا ، يترجم صوته إلى ترددات آلية ، تمنحه ذلك الرنين المعدنى ، وتجعلنا نعجز عن تمييز صوته الحقيقى .

تحسست شعره ، وهى تقول :

ـ لماذا لايمكننا الإيقاع به إذن؟

بدا صوته وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، وهو يقول :

ـ بسبب القنبلة .

رددت فى دهشة :

ـ القنبلة ؟!.. أية قنبلة يا (نور) ؟

ولكنه لم يجب تساؤلها هذا المرة ..

كان قد غرق ..

غرق فى نوم عميق ..

* * *

سعل (رمزى) بصوت خافت ، فهبّت (نشوى) من مقعدها ، واندفعت نحوه ، وقالت فى لهفة :

- (رمزى) .. هل استعدت وعيك؟

رفع (رمزى) جفنيه المرهقتين ، وتطلّع إليها لحظة ، ثم تمتم فى تهالك :

- (نشوى) .. أهو أنت؟

أجابته فى حنان مشفق عطوف :

- نعم يا(رمزى) .. إنه أنا؟

احتوت كفه فى راحتها ، وضغطتها فى رفق ، وكأنها تبثه حبها وحنانها ، وشعرت أنه يبذل جهدًا ضخمًا ، ليبقى على وعيه ، وهو يقول :

- (نور) .. أين .. أين (نور)؟

رَبَتت على جبهته فى حنان ، وهى تقول :

- إنه ليس هنا .. لقد ذهب إلى الإدارة ، وسيعود بعدها إلى المنزل .

تخاذل جفناه ، وسقطا على عينيه ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

- ولكن .. ولكن ينبغى أن .. أن يعلم .

سألته فى مزيج من القلق والحيرة :

- يعلم ماذا؟

تسارعت أنفاسه ، وهو يقاوم تلك الغيبوبة ، التى تحيط برأسه ، فعادت تسأله فى قلق أكثر :

- يعلم ماذا يا (رمزى) ؟.. ما الذى يجب أن يعلمه أبى .

جاهد (رمزى) ليفتح جفنيه ، وهو يقول :

- جيهان .. إنها .. إنها ..

لم يستطع اتمام عبارته ، فقالت (نشوى) فى توتر :

- إنها ماذا يا (رمزى) ؟.. ماذا عن (جيهان) ؟

فوجئت بعيناه تتسعان ، وهو يقول فى ذعر :

- خلفك .. إنها خلفك .

رددت فى دهشة :

- خلفى .

ثم التفتت خلفها بحركة حادة ، والتقت عيناها بعينى (جيهان) الجامدتين لحظة ، قبل أن تطلق (جيهان) ذلك الرذاذ المخدّر فى وجهها ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة وذعر ..

ومع شهقتها ، استنشقت الغاز المخدّر كله ..

وفى لحظة واحدة ، كانت تسقط على الأرض فاقدة الوعى ..

وهنا اتسعت عينا (جيهان) فى ذعر ، وسقطت بخاخة المخدّر من يدها ، وهى تقول فى ارتياع :

- رباه !.. ماذا فعلت ؟.. ماذا فعلت ؟

وكان هذا آخر ماسمعه (رمزى) منها ، قبل أن يفقد وعيه مرة ثانية ..

* * *

حتى وهو غارق فى النوم ، لم يهدأ عقل (نور) عن التفكير ..



ثم التفتت خلفها بحركة حادة ، والتقت عيناها بعيني (جيهان) الجامدتين لحظة ، قبل أن تطلق (جيهان) ذلك الرذاذ القذر في وجهها ..

أحلامه كلها كانت استرجاعًا لكل ما حدث منذ البداية ..

كل الأحداث ..

والتحقيقات ..

والحوادث ..

كل ما رآه ، أو سمعه ، أو قرأه ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

وفى أحلامه راح يرتب الحوادث والملابسات والظروف ..

والعجيب أن عقله كان يفعل هذا فى إتقان تام ، كما لو كان مستيقظًا ، يدرس كل شيء فى عناية بالغة ..

كانت حالة عجيبة ، من حالات صفاء الذهن ، التى تمرّ بالنائم ، فترشده إلى حل مشكلة عويصة ، أو مسألة رياضية صعبة ..

ومع هذا الصفاء الشديد ، بدأت بعض الحقائق تتراص إلى جوار بعضها البعض ، وتصنع علاقات وروابط جديدة ..

ثم راحت تلك العلاقات تتماسك أكثر وأكثر ..

وفجأة تحوّل الأمر إلى حلم حقيقى ..

حلم رأى (نور) نفسه فيه ، يسير فى قلب المستشفى ..

ثم ظهر الآلى ..

ظهر أمام حجرة (أكرم) ، وسأله بصوته المعدنى الرنان :

- إلى أين أيها الرائد ؟

بدا هو خفيفًا رشيقًا ، وهو يتجه نحوه ، قائلًا :

- لن يمكنك اعتراضى الآن .. لقد كشفت أمرك .

لوح الآلى بكفه ، قائلاً :

- مستحيل !.. لن يمكنك هذا أبدًا .

وفى بطء ، راح ضباب كثيف ينتشر ، فى ممرات المستشفى ، و (نور) يقول :

- خطأ .. لقد كشفت أمرك بالفعل .. صحيح أنك تلعب اللعبة فى مهارة بالغة ، ولكنك وقعت فى نفس الأخطاء ، التى يقع فيها كل مجرم ، وكشفت أمرك .

عقد الآلى ساعديه أمام صدره ، وقال :

- أخبرنى إذن من أنا .

قال (نور) فى حزم ، والضباب يزداد كثافة وانتشارًا :

- سأخبرك .. أنت ..

لم يكد ينطق الاسم ، حتى استيقظ عقله كله بغتة ..

استيقظ دفعة واحدة ، كما لو أن غطاء النوم قد سقط عنه دون إنذار ..

وفى حركة حادة ، نهض (نور) جالسًا على فراشه ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو يقول :

- يا إلهى !.. هذا صحيح .

أسرعت (سلوى) إلى الحجرة ، مع صيحته المرتفعة ، وفوجئت به يرتدى ثيابه فى سرعة ، فسألته فى قلق :

- (نور) .. ماذا حدث ؟!.. إنك لم تحصل على قدر كاف من النوم ، و ...

بترت عبارتها وهى تحدق فى عينيه مباشرة ..

كان هناك ذلك البريق ، الذى لم تره منذ زمن طويل بريق عينيه ..

ذلك البريق الذى يعنى الكثير .. الكثير جدًا ..

وبالذات بالنسبة لرجل مثل زوجها (نور) ..

وفى لحظة واحدة ، هبط عليها ذلك الفضول الأنثوى الشديد ، الذى جعلها تهتف :

- (نور) .. لقد توصلت إلى الحل .. أليس كذلك ؟.. أليس كذلك يا (نور) ؟

اختطف سترته الجلدية ، وارتداها على عجل ، وهو يندفع نحو الباب ، قائلاً :

- بلى يا (سلوى) .. لقد توصلت إليه .

انطلقت تعدو خلفه ، من شدة لهفتها ، وهى تهتف :

- من هو يا (نور) ؟.. من ؟

ولكنه غادر المنزل فى خطوات سريعة ، ووثب داخل سيارته الصاروخية ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهى تصرخ خلفه :

- من يا (نور) ؟.. من ؟

رأته يختفى فى نهاية الطريق ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، ووضعت يديها فى وسطها ، هاتفة :

- حسنًا يا (نور) .. هأنتذا تعاود أسلوبك السخيف .

ثم طوّحت شعرها فى سخط ، مستطردة :

- سيقتلنى الفضول قبل عودتك .

ولم يكن (نور) قطعًا يشعر بذلك الفضول ، الذى يكاد يلتهم زوجته التهامًا ..

كان كل مايملأ رأسه هو الآلى ، وضرورة الإيقاع به ، قبل أن يجد الفرصة لإشعال القنبلة النووية ..

هذا هو الأمل الوحيد ..

وبضغطة زر على جهاز الكمبيوتر الصغير ، المتصل بهاتف السيارة ، تم الاتصال بينه وبين القائد الأعلى والدكتور (ناظم) فى آن واحد ، وعبر قناة خاصة ، وبأسلوب شفرى لايمكن ترجمته ..

وانقسمت شاشة الجهاز إلى قسمين ، ظهر عليهما وجها الرجلين ، وبدأ القائد الأعلى الحديث ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟.. أنت تعلم أن هذه القناة بالغة السرية ، وينبغى عدم استخدامه إلا فى أدق الظروف .

قال (نور) فى لهفة :

ـ أعلم هذا ياسيدى ، والموقف الآن بالغ الخطورة بالفعل .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ أى موقف هذا يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لقد توصلت إلى شخصية الآلى .. أقصد من ينتحل شخصية الآلى .

كان للعبارة وقع الصاعقة على الرجلين ، فهتف الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ من هو يا (نور) ؟.. من هو ؟

قال (نور) :

ـ سيدهشك أن تعرف ياسيدى .

وألقى إليه بالاسم ، فاتسعت عينا الرجلين فى دهشة ، وقال القائد الأعلى :

ـ مستحيل !.. لم أتوقع هذا قط ! أأنت واثق يا (نور) ؟

قال (نور) فى سرعة :

ـ تمام الثقة ياسيدى ، وأنا أهرع الآن الى المستشفى، لحسم الأمر ، فلابد من إتمام العملية ، قبل أن تضيع الفرصة .

سأله القائد الأعلى :

ـ وماذا ستفعل ياولدى ؟

أجابه (نور) ، وهو يعبر باب المستشفى :

ـ سأحاول منع الدمار بأى ثمن ياسيدى .

لم يكن هناك وقت لشرح مالديه بالتفصيل ، فاكتفى بالقول :

ـ وأرجو إرسال فرقة كاملة لتدعيم الموقف .. أما الآن فمعذرة ياسيدى ، سأضطر لإنهاء الاتصال .

قالها وهو ينهى الاتصال بالفعل ، ويقفز من سيارته ، ويسرع نحو المستشفى ..

وفى سرعة ، بلغ حجرة (رمزى) ، ودخلها فى نفس اللحظة ، التى استعاد فيها هذا الأخير جزءًا من وعيه ، فسأله فى اهتمام :

ـ (رمزى) .. أين (نشوى) ؟

فتح (رمزى) عينيه ، وتطلع إليه فى تهالك ، قبل أن يقول بصوت شاحب :

- (نور) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

سأله (نور) فى قلق :

- أين (نشوى) يا (رمزى) ؟

ردد (رمزى) فى صعوبة :

- (جيهان) .. إنها .. لقد .. لقد ..

ربت (نور) على صدره مطمئنًا ، وهو يقول :

- اطمئن ياصديقى .. لقد توصلت إلى الحقيقة كلها ، وعرفت كل شىء .. عرفت حتى أين أجد (أكرم) ..

تمتم (رمزى) :

- الحقيقة !.. ولكن (نشوى) يا (نور) .. ابنتك .. أنقذها .

هتف (نور) :

- أنقذها ؟!.. ماذا حدث يا (رمزى) ؟.. ماذا أصابها ؟

ولكن (رمزى) تهالك دفعة واحدة ، وعاد إلى غيبوبته العميقة ، فصاح (نور) :

- ماذا أصابها يا (رمزى) ؟

أدرك على الفور أن (رمزى) لن يستعيد وعيه قبل فترة طويلة ، فاعتدل هاتفًا :

- اللعنة !

واندفع مغادرًا الحجرة ، ولكنه التقى خارجها بالمدير ، الذى هرع إليه هاتفًا :

- مرحبًا أيها الرائد .. لقد أخبرنى رجال الأمن أنك هنا ، فأتيت لـ ..

فوجئ بـ (نور) يتجاوزه ، ويعدو عبر الممر الطويل ، فهتف فى جزع :

- إلى أين أيها الرائد .. ماذا حدث ؟

لم يجب (نور) ، حتى بلغ حجرة العناية المركزة الأولى ، التى لم يتم إصلاح ما أصابها من دمار بعد ، واتجه نحو الجدار المشابه ، لذلك الذى يحوى مدخل الحجرة السرية ، فى الحجرة الثانية ، وراح يضربه بقدميه ، ويتحسسه فى لهفة ، حتى لحق به المدير ، مع ثلاثة من طاقم الأمن ، وسأله فى توتر شديد :

- ماذا هناك أيها الرائد ؟.. ماذا حدث ؟

أزاحه (نور) جانبًا ، وهو يستل مسدسه الليزرى ، قائلًا :

- ابتعد .

تراجع الرجل فى دهشة ، واستل رجال الأمن الثلاثة مسدساتهم الليزرية فى حركة متوترة ، فى حين صوب (نور) مسدسه إلى نقطة قدرها بذاكرته ، فى ذلك الجدار ، وأطلق أشعته مرة ، وثانية .. وثالثة ..

وفى المرة الرابعة أصابت الأشعة هدفها ..

وتحطم زجاج حجرة سرية أخرى ..

واتسعت عيون الجميع ذهولًا ، عندما انزاح جزء من الجدار ، كاشفًا حجرة شديدة الشبه بحجرة العناية المركزية الأولى ، ولكنها أصغر حجمًا ، وتحوى أجهزة أقل ..

وعلى الفراش الصغير ، فى تلك الحجرة ، رقد (أكرم) فاقد الوعى ، وفى المساحة الخالية ، بين فراشه والجدار المقابل سقطت (نشوى) ..

وبكل اللهفة فى أعماقه ، اندفع (نور) نحو ابنته ، وراح يفحصها فى توتر ، وهتف المدير ذاهلاً :

ـ ماذا يحدث فى هذا المستشفى ؟!

صاح (نور) :

ـ اطلب طاقم الاسعاف أولاً ، وسأشرح لك كل شىء فيما بعد .

حدق المدير لحظة فى (أكرم) ، ثم تراجع هاتفًا :

ـ ألم تسمعوا ؟.. استدعوا رجال الإسعاف بسرعة .

أسرع أحد الحراس الثلاثة يلبى الأمر ، ويتصل بطاقم الإسعاف ، فى حين أخرج المدير منديله ، وراح يجفف عرقًا وهميًا عن جبهته ، وهو يقول :

ـ ماذا يحدث بالله عليك ؟.. كيف عاد (أكرم) هذا ؟.. وما الذى أتى به وبابنتك إلى هنا ؟.. وكيف صنعوا هذه الحجرة ؟

أجابه (نور) فى توتر :

ـ هذه الحجرة موجودة منذ البداية .. إنها التفسير المنطقى لاختفاء (أكرم) ، على الرغم من عدم مغادرته المستشفى .. ثم أن الحجرتين متشابهتان ، ولو لم توجد حجرة سرية هنا أيضًا ، لكان ينبغى أن تكون هذه الحجرة أكثر اتساعًا من الأخرى .

سأله المدير فى ذهول :

ـ ولكن .. أليس (أكرم) هذا هو .. هو .

وعاد يجفف عرقه الوهمى ، مكملاً فى توتر :

ـ لم أعد أفهم شيئًا .

وصل رجال الإسعاف والأطباء ، فى هذه اللحظة ، وراحوا يفحصون (نشوى) ويسعفونها ، وقال أحدهم :

ـ حمدًا لله .. إنها مخدرة فحسب ..

وصل (هيثم) و (جيهان) فى اللحظة نفسها ، وشحب وجه (جيهان) ، وهى تتطلع إلى الحجرة الثانية ، وإلى رجال الإسعاف ، الذين يحاولون إنعاش (نشوى) ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى !.. حجرة سرية ثانية ؟!

قال (نور) فى توتر :

ـ أتعشم أن تكون الأخيرة .

سعلت (نشوى) فى هذه اللحظة ، فالتفت إليها (نور) فى جزع ، وسأل أحد الأطباء فى لهفة :

ـ ماذا بها ؟

أجابه الرجل فى ارتياح :

ـ اطمئن .. إنها تستعيد وعيها .

فتحت (نشوى) عينيها ، فى اللحظة نفسها ، وقالت :

ـ أبى .. أأنت هنا ؟

تحسس (نور) جبهتها فى حنان ، وهو يقول :

- نعم يا ابنتى العزيزة .. أنا هنا .

أدارت (نشوى) عينيها فى وجوه الحاضرين ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، عندما وقع بصرها على (جيهان) ، وهتفت :

- أبى .. ألق القبض عليها .. هى التى فعلت كل هذا .

تراجعت (جيهان) كالمصعوقة ، وهى تهتف :

- أنا ؟!

نهض (نور) فى سرعة ، وهو يقول :

- لا يا (جيهان) .. إنها لاتقصدك حتمًا .

وتحرّك فى خفة وحذر نحو (جيهان) ، وهو يستطرد فى هدوء ، محاولاً عدم إثارة أعصابها :

- إنه هذيان المخدّر فحسب .

هتفت (نشوى) :

- أبى ؟!.. ماذا تقول ؟

ولكن (نور) تحرّك فجأة ، وانقضّ على شخص محدود بالحجرة ..

الشخص الذى ينتحل منذ البداية شخصية الآلى ..

* * *

٩ - المسئول ..

انتهى القائد الأعلى من إصدار أوامره المباشرة ، لفرقة من فرق القوات الخاصة ، لتلحق بـ(نور) فى المستشفى ، مع تسليح كافٍ ومناسب ، ثم أطلق زفرة متوترة ، والتفت إلى الدكتور (ناظم) ، يسأله :

- أتظن (نور) ينجح فى هذا ؟

تردّد الدكتور (ناظم) لحظات ، ثم أجاب فى حذر :

- لو أحسن استغلال عامل المفاجأة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

- أريد ردًا حاسمًا .

أجاب الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- لست أدرى .

بدا الغضب على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ماذا تعنى بأنك لست تدرى ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

- الأمر يعتمد على عدة نقاط بالغة الأهمية .. أولها : هل استنتاج (نور) صحيح أم لا .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- أنا أثق فى هذا .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم أكمل دون تعليق :

ـ وثانيًا : هل سيكون الآلى داخل ملابسه أم خارجها ، عندما يلتقى به (نور) ، والفارق هنا رهيب للغاية ، فالقنبلة النووية تكمن فى الزى الآلى نفسه .

سأله القائد فى اهتمام :

ـ وثالثًا ؟

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وقال :

ـ ثالثًا هذا يعتمد على عقلية الآلى ، وهل وضع فى اعتباره احتمال كشف أمره أم لا ؟!..

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وراح يحك ذقنه بسبابته لحظات ، قبل أن يقول :

ـ إنك تضاعف من قلقى وتوترى .

تنهد الدكتور (ناظم) مرة ثانية فى عمق ، وقال :

ـ إنها الحقيقة ياسيدى ، فنحن الآن عند عنق الزجاجة ، وإما أن ينجح (نور) فى مهمته تمامًا ، أو ..

حبس الكلمات فى صدره لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

ـ أو أننا نشهد اللحظات الأخيرة من حياة (القاهرة الجديدة) .

وتضاعف قلق القائد الأعلى أكثر ..

* * *

كانت مفاجأة مذهلة للجميع ، عندما انقض (نور) بغتة

على (هيثم) ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره ، وهتفت (جيهان) فى ذعر :

ـ ماذا تفعل يا (نور) ؟

أما (هيثم) فقاوم بجسده النحيل الضئيل ، وصرخ :

ـ هل جننت يا رجل ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل أنت المجنون يا رجل .. أنت من يستحق العلاج النفسى بالفعل .

صاح (هيثم) فى غضب :

ـ إننى أنا الطبيب النفسى .

قال (نور) فى حدة :

ـ بل أنت الآلى القاتل ، الذى تصوّر نفسه رسولاً للعدالة ، وراح يقتل ويدمّر بلا رحمة أو هوادة .

حدّق الجميع فى (هيثم) بذهول ، ورددت (نشوى) :

ـ الآلى ؟!.. هو ؟!

أما المدير ورجال الأمن الثلاثة والأطباء ، فقد بلغت دهشتهم ذروتها ، وقال المدير فى ارتياع :

ـ الدكتور (هيثم) هو الآلى ؟!.. كيف ؟.. إنه ضئيل ضعيف ، و ..

قاطعه (نور) :

ـ ربما كان هذا هو السبب فيما أصابه .. السبب فى عقدته النفسية ، التى سيطرت عليه ، ودفعته لفعل كل هذا .. إنه ضئيل

ضعيف ، يعجز عن التصدى للأقوياء ، الذين يعيشون الفساد من حوله ، أو يتجاهلونه تمامًا .. هذا ماصنع عقدته ، ورغبته فى التفوق والقوة ، حتى ينتقم من كل من يسيئون إليه وإلى المجتمع ، مثل (وليد سالم) ، الذى يغازل خطيبته بكل وقاحة ، والذى أعد خطته للتخلص منه ، وتلويث سمعته كلها ، عقابًا له على ما فعل .

استكان (هيثم) بين ذراعى (نور) ، واستسلم على نحو عجيب ، وكأنه يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، فى حين هتف المدير :

ـ ولكن كيف ؟.. كيف فعل كل هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ باستخدام التنويم المغنطيسى يا رجل .. إنه المعالج النفسى الوحيد للجميع ، بما فيهم طاقم المستشفى ، وعلماء مركز الأبحاث ، ورجال الأمن .. وفى جلساته معهم ، وهم يستسلمون له تمامًا فى عيادته النفسية ، أخضعهم للتنويم المغنطيسى ، وراح يحصل منهم على أدق الأسرار العلمية والعسكرية ، ويدفعهم لتنفيذ أوامره ، أو الخضوع له تمامًا ، وبهذا حصل على زى الحرباء القتال ، الذى يؤمن له تغيير ألوان جسده بدقة مذهلة ، وانتحال هيئة الأشياء المحيطة به ، وبأدوات مشروع (سيبورج) ، الذى منحه القوة الزائدة ، ودفع القسم الهندسى لصنع الحجرتين السريتين ، وحصل من (وليد) على كل ما يريد من أدوات طبية وعملية ، ثم غرس فى عقله ضرورة الدفاع عن هذا السر بحياته ، وجعله يقاتل فى

شراسة ، ويحاول قتلى .. وبالتنويم المغنطيسى أيضًا أقنع (مشيرة) أنها رأت عينى (أكرم) ، بدلاً من عينيه هو ، ثم راح ينسج الخيوط كلها ، بحيث يبدو وكأن (أكرم) هو الذى يستعيد وعيه ، ويفعل كل هذا ، ليربكنا ، ويثير حيرتنا .

قالت (جيهان) بصوت مرتجف :

ـ ولكننى رأيت الآلى بنفسى ، وكان (هيثم) معى ، و..

قاطعها (نور) :

ـ هذا أيضًا من تأثير التنويم المغنطيسى ، فأنت واحدة من ضحاياه .. لقد استخدمك دائمًا لتغطيته ، وكان يدفعك لفعل أشياء ترفضينها ، وأقنعك برؤية الآلى ، وبقتاله معه ، ثم تمادى فى خدعته بمهارة وجرأة ، وضغط أصابع الآلى المعدنية على ذراعه ، ليترك أثرًا يمكنه تبرئته فيما بعد ، وهذه الخدعة كانت بارعة بالفعل ، حتى أنها أثارت ارتباكى وحيرتى ، ولم يفوقها سوى خدعة توقفه عن القتال ، عندما خاطبته (مشيرة) فى قاعة المحاكمات ، باعتبار أنه (أكرم) .. كان هذا وحده يكفى لإقناعنا بأن (أكرم) بالفعل هو الذى وراء كل هذا .

قالت (نشوى) فى حيرة :

ـ ولكن ماذا عن اختفاء (أكرم) المتكرر ؟

أجابها (نور) :

ـ ستجدين الجواب فى أنبوبة الليزر ، التى عثرتم عليها بين الحطام يا (نشوى) .. لقد افترضتم جميعًا أن مهمتها هى إظهار صورة (أكرم) ، فى الوقت الذى يغادر فيه الحجرة ، ولكن العكس هو الصحيح .. لقد كانت مهمتها الحقيقية هى صنع

صورة هولوجرافية زائفة للحجرة كلها ، يبدو فيها (أكرم) مستلقيًا ، وفراشه خاليًا ، في حين أن (أكرم) لم يغادر فراشه أبدًا ، إلا عندما اختطفه (هيثم) ، ونقله إلى الحجرة السرية الثانية ، بعد أن قررنا إحاطة جسده بأجهزة المراقبة والفحص ، التابعة للإدارة ، والتي كانت ستكشف سره حتمًا .

قال المدير في توتر :

- ولكن الممرضة رأت (أكرم) ينهض ، ويهاجمها .

أجابه (نور) بسرعة :

- لاتنس أن (هيثم) زارها قبل هذا ، ومن المؤكد أنه أخضعها للتنويم المغنطيسي ، دون أن تدري ، وجعلها تتصوَّر مارأت .

التفتت (جيهان) إلى (هيثم) ، وهتفت :

- هذا غير صحيح .. إنها مجرَّد استنتاجات سخيفة .. أليس كذلك يا (هيثم)؟ .. أليس كذلك؟

عدَّل (هيثم) منظاره الطبي ، وقال في حزم :

- كلا .. إنها الحقيقة .

تراجعت هاتفة في ارتياع :

- مستحيل!.. مستحيل!

قال في حدة :

- لايوجد مستحيل .. إنني أشعر دائمًا بالضعف والهوان ، وأحلم طيلة عمري بالقوة والسطوة والبأس .. وأحلم بتطبيق قانوني الخاص ، وتحقيق العدالة ، التي يفتقر إليها القانون البشري .. ولقد حاولت عدة وسائل أخرى .. سعيت طويلًا

لتقوية نفسي بالتدريبات الرياضية ، والعقاقير الحديثة ، ولكن كل هذا ذهب سدى .. طبيعة جسدي كانت تحتم ضآلتي وضعفي ،

وبرقت عيناه في شدة ، وهو يتابع :

- ثم خطرت تلك الفكرة العبقرية ببالي .. الجميع يعانون المتاعب النفسية ، بعد رحيل الغزاة .. الكل يطلب العلاج النفسي في العالم الجديد ، مع متاعب إعادة البناء والصراع المادي والمعنوي .. وكل العظماء والقادة والعلماء يرقدون أمامي على منضدة الفحص ، ويستسلمون لي تمامًا ، ويخضعون للتنويم المغنطيسي دون مقاومة تذكر ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستطرد :

- وهنا برزت الفكرة في رأسي .. فكرة عبقرية تمامًا .. أستطيع أن أبحث عن القوة في عقولهم .. في الأسرار التي يحتفظون بها ، والتي يملكونها ..

قال (نور) في اهتمام :

- ولكن كيف أقنعتهم بكشف مالديهم من أسرار ، علمًا بأن الإنسان لايفعل ، وهو تحت تأثير التنويم المغنطيسي ، مالايفعله في وعيه؟!(*)

أطلق (هيثم) ضحكة ساخرة ، وقال :

- هنا تكمن العبقرية يارجل .. إنني لاأخضع لتلك النظريات والأفكار الجامدة العتيقة ، وإنما أسعى دائمًا لتطويرها والدوران حولها؛ للتغلب على مشكلاتها .. وفي هذه القضية بالذات وجدت حلًا رائعًا ، فأنت مثلًا لايمكنك كشف أية أسرار

(*) حقيقة علمية .

تخص المخابرات العلمية لى ، حتى وأنت تحت تأثير التنويم المغنطيسى ؛ لذا فلن أحاول سؤالك عن هذه الأسرار ، وإنما سأوهمك أننى قائدك الأعلى فحسب ، وعندئذ ستجد من السهل أن تخبرنى بكل مالديك من معلومات ، مادمت فى نظرك قائدك الأعلى ، الذى من الطبيعى أن تمنحه كل أسرار العمل .

قال (نور) :

- فكرة عبقرية بحق .

لوّح (هيثم) بكفه ، وقال :

- من الواضح أننى لست العبقرى الوحيد هنا ، فلقد كشفت أنت السر ، على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذتها .

قال (نور) :

- لم يكن ذلك سهلاً .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

- فى البداية اعتبرتك المشتبه فيه رقم واحد ، ثم أربكنى أمر حصولك على الأسرار ، وذلك المشهد الذى أقنعت فيه (جيهان) بأنها رأتك تقاتل الآلى .

سأله (هيثم) :

- وما الذى جعلك تعود إلى اشتباهك بأمرى ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- بل إلى اليقين من أنك المسئول عن كل هذا ، فلقد أدركت فجأة أن الخيوط كلها تلتقى عندك ، وتشير إليك بشدة ، وهذا يبدأ فى عبارة قالها (رمزى) ، وهو يشير إلى أن حجم الأعين لايتناسب مع التكوين العام لجسم الآلى .. والواقع أننى لم أنتبه إلى هذا الأمر فى حينه ، عندما سمعته من (نشوى) ، ولكن

فجأة راحت هذه العبارة بالذات تتردد فى ذهنى ، وربما هى التى قادتنى إلى الحل كله ، فالمنطق هنا يقول إن عدم التناسب يعود إلى أن الشخص الذى يرتدى الزى الآلى ، أصغر حجمًا من الزى نفسه ، وكان هذا ينطبق عليك فى شدة ، مع خبرتك فى التنويم المغنطيسى ، وكون الجميع يتعالجون عندك نفسيًا ، وعلى الرغم من هذا فلم تكن هذه هى النقطة التى حسمت قرارى ، وإنما كان هذا بسبب لقائك الأوّل مع (مشيرة) .

عقد (هيثم) حاجبيه وقال :

- لم يكن فى هذا اللقاء مايدين .

ابتسم (نور) وقال :

- هذا ماتتصوّره أنت ، ولكن هل نسيت كيف أصيبت (مشيرة) بفزع مبهم ، عندما وقعت عيناها عليك لأوّل مرة ، على الرغم من أنه لم يكن بك ما يفزع ؟.. لقد انتبهت فجأة إلى أن السبب الرئيسى لفزعها ينبع من عقلها الباطن ، لامن عقلها الواعى ، فلقد وقعت عيناها على عينيك ، وأدرك عقلها الباطن فورًا أن هذه هى العيون نفسها ، التى رأتها داخل الرداء الآلى ، وليست عينى (أكرم) ، كما أوحيت أنت إليها ، عندما نوّمتها مغنطيسيًا ، فى شبكة أنباء الفيديو .. هذا هو الذى أصابها بالفزع فى البداية ، بتلقائية شديدة ، ثم أصابتها الحيرة بعد هذا من فزعها ، عندما سيطر عقلها الواعى على الموقف .

قال (هيثم) فى سخرية :

- رائع أيها الرائد .. إنك تجيد التحليل النفسى على نحو جيد ، ولكن هذا لن يجعلك أفضل منى ، فى هذا المجال .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ولكنه كان يكفى للايقاع بك .

هتف (هيثم) :

ـ الايقاع بى ؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أنك لم تقدرنى حق قدرى أيها الرائد .

لم يفهم (نور) مايعنيه (هيثم) ، حتى هتف هذا الأخير فجأة :

ـ طوارىء .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى تجمدت نظرات رجال الأمن الثلاثة ومديرهم ، وارتفعت فوهات مسدساتهم فى حركة حادة متحفزة متوترة نحو (نور) ، فى حين أطلق (هيثم) ضحكة أكثر سخرية وارتفاعا ، وهو يقول :

ـ والآن ماذا ستفعل أمام هذا الموقف الجديد .

ولم يدر (نور) حقًا ماينبغى أن يفعل ..

* * *

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، وفوهات الأسلحة الليزرية كلها مصوبة إلى (نور) ، وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، و(هيثم) يواصل :

ـ هيا أيها الرائد .. ليس أمامك سوى أن تطلق سراحى ، وتستسلم لرجال الأمن ، وإلا فسيطلقون الأشعة عليك بلا رحمة ، فهم لايروننا فعليًا الآن ، وإنما يرون رئيس الجمهورية نفسه ، بين يدى جاسوس يهدده ، ولايمكنهم أن يترددوا أمام هذا .

لم يتخل عنه (نور) ، على الرغم من هذا ، وبقى صامتًا ، ينقل بصره بين العيون الجامدة ، ثم استل مسدسه بحركة سريعة ، وألصقه بجبهة (هيثم) ، قائلًا :

ـ إننى أفضل قتلك .

قال (هيثم) فى سرعة :

ـ وماذا عن ابنتك؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى أدار أحد الرجال الثلاثة فوهة مسدسه الليزرى ، وألصقه برأس (نشوى) ، التى أطلقت شهقة رعب ، وشحب وجهها فى شدة ، فانعقد حاجبا (نور) فى غضب ، و(هيثم) يقول :

ـ لك أن تختار .. حياتى أو حياة ابنتك .

بدا التوتر الشديد على وجه (نور) ، وهو يتطلع إلى ابنته المرتجفة ، ولكن (نشوى) استجمعت شجاعتها ، وقالت :

ـ لاتتردد ياأبى .. إنها حياته أو حياة (مصر) كلها .. إنه طاغية جديد يولد ، فلا تسمح له بالطغيان .. اقتله ياأبى .. اقتله حتى ولو كانت حياتى هى الثمن .

قال (هيثم) ساخرًا :

ـ ياله من مشهد مؤثر !

صاح به (نور) :

ـ اصمت .

ثم أدار فوهة مسدسه الليزرى فى سرعة ، وأطلق أشعته على يد الرجل ، الذى يصوب مسدسه إلى ابنته ، فسقط المسدس من يد الرجل ، وصاح (نور) ، وهو يجذب (هيثم) إليه :

ـ الحجرة السرية يا (نشوى) .

أدركت ابنته مايعنيه بالضبط ، فتراجعت بحركة حادة ، وركلت الرجل فى معدته ، ثم أغلقت باب الحجرة فى عنف ، فى حين أدار (نور) فوهة مسدسه مرة أخرى ، وأطلق أشعته على مسدس الرجل الثانى ، وهو يقول لـ(هيثم) فى سخرية :

ـ أخطأت هذه المرة أيضًا أيها الوغد ، فالفكرة التى زرعها التنويم المغنطيسى فى عقولهم ، هى التى ستحمينى ، فلن يجرؤ أحدهم على إطلاق النار على جسدك ، الذى أحتمى به ، ماداموا يرونك فى هيئة رئيس الجمهورية ، وهذا يعنى أن ..

ولكن (نور) لم يكمل عبارته ..

لقد هوت على مؤخرة عنقه ضربة عنيفة ، جعلته يتخلى عن (هيثم) مرغمًا ، ويسقط أرضًا ..

وفى ذعر تطلعت (جيهان) إلى التمثال الذى تحمله ، هاتفة :

ـ ماذا فعلت؟.. ما الذى جعلتنى أفعله؟

أجابها فى سخرية :

ـ مالم يتوقعه هذا العبقرى .. تدخلك المباشر يا عزيزتى؟

صاحت فى ذعر :

ـ لماذا جعلتنى أفعل هذا؟.. لماذا؟

صرخ :

ـ إننى أحبك .. أحبك .. لقد فعلت كل هذا من أجلك .

صاحت فى ارتياع :

ـ تحبنى؟!.. كلا .. إنك تستغلنى .. لقد دفعتنى لفعل الكثير ، على الرغم منى ، ثم حاولت إيهامى بأننى مصابة

بانفصام فى الشخصية .. إنك حقير .. حقير .

استمع (نور) إلى هذا الحديث ، ورأسه يقاوم غيبوبة عميقة .

كان من المحتم أن يقاومها ، حتى يمنع (هيثم) من الفرار ؛ فلو ارتدى زى الآلى لضاعت الفرصة الوحيدة للإيقاع به ..

لن ينجح مخلوق واحد فى اصطياده بعد هذا ..

سيفلت إلى الأبد ..

وسيبدأ عهد طغيان جديد .

وفى صعوبة ، حاول (نور) أن ينهض ، ولكن رجال الأمن الخاضعين للتنويم المغنطيسى أطبقوا عليه ، وكبلوا حركته ، فى حين صاح (هيثم) فى (جيهان) :

ـ هيا بنا .. سنناقش هذا فيما بعد .. المهم أن أرتدى الزى الذى أحتفظ به فى حجرتك ، قبل أن تصل الإمدادات ، التى لابد أنها ستلحق به بعد قليل ، مادام قد كشف أمرى قبل وصوله .

انتزعت يدها من يده ، صارخة :

ـ اتركنى .. اتركنى ..

تراجع مبهوتًا ، ثم هتف فى غضب :

ـ ستندمين .. ستندمين حتمًا .

ثم انطلق مغادرًا الحجرة ، فصاح (نور) :

ـ امنعوه .. لاتسمحوا له بالفرار .. سيضيع كل شىء لو هرب .

ولكن رجال الأمن تشبثوا به فى استماتة ، فاندفعت

(جيهان) نحوهم صارخة :

ـ اتركوه .. اتركوه .

وهوت على رأس أحد الحراس بالتمثال الثقيل ، ثم ضربت به وجه الثانى ، فتحرك (نور) فى سرعة ، مستغلاً تلك الفرصة ، وهوى على فك الثالث بلكمة قوية ، ثم تملص من بين يديه ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، وهو يلتقط مسدسه الليزرى ..

وبكل سرعته ، راح يركض عبر الممرات ، حتى بلغ حجرة (جيهان) ، فحطم رتاجها بطلقة من مسدسه ، ودفع الباب بقدمه ، واندفع داخلها ، و..

وتوقف على نحو حاد ..

فأمامه .. أمامه مباشرة كان يقف (هيثم) ، ولكن .. فى زى الآلى .

* * *

١٠ ـ الصراع الأخير ..

فى اللحظة التى دخل فيها (نور) حجرة مكتب الدكتورة (جيهان) ، كان (هيثم) قد انتهى من ارتداء زى الآلى ، إلا الخوذة .

كان يهم بارتدائها ، عندما صاح به (نور) :

ـ لن أسمح لك .

قالها وهو يطلق أشعة مسدسه نحو الخوذة ، فانتزعتها الطلقة من بين يدى (هيثم) ، وألقتها فى ركن الحجرة ، فصاح (هيثم) فى غضب :

ـ أنت دفعتنى إلى هذا أيها الرائد .

ورفع ذراعه ليطلق أشعة مدفعه الصغير نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وتفادى طلقة الأشعة ، التى ارتطمت بالجدار ، وحطمت جزءًا منه ، وهو ينقض على (هيثم) ، هاتفًا :

ـ إنك بلا خوذة ، ولن أضيع هذه الفرصة أبدًا .

ثم هوى على فك (هيثم) بلكمة كالقنبلة ، دفعته إلى الخلف ، وجعلته يرتطم بالجدار ، ثم سقط على ظهره فاقد الوعى ..

وهنا أسرع (نور) ينتزع مدفعى الليزر الصغيرين من ذراعيه ، وهو يقول :

ـ أفضل ما نفعله الآن هو أن نجردك من أسلحتك ، ثم ننزع

عنك هذا الزى ، قبل أن تعبث بالقنبلة .

انتهى بسرعة من انتزاع المدفعين ، وألقاهما جانبًا ، ثم همّ بنزع الزى الآلى نفسه ، عندما فتح (هيثم) عينيه فجأة ، وقال :

ـ لن أسمح لك أنا أيضًا .

ثم تحركت قدمه فى عنف ، داخل الزى الآلى ، وضربت (نور) ضربة قوية فى ظهره ، فسقط على وجهه ، ونهض (هيثم) بسرعة واقفًا ، وهمّ بالتقاط خوذته ، ولكن (نور) اختطفها فى سرعة ، وطوّح بها من النافذة ، هاتفًا :

ـ لا .. لن تحصل عليها مرة أخرى .

هوت القبضة الآلية على وجه (نور) ، و(هيثم) يقول فى غضب :

ـ أستطيع قتلك دون خوذة .

ارتطم جسد (نور) بالجدار فى عنف ، وشعر بعظام فكه كلها ، وكأنها قد تحوّلت إلى فتات ، ولكنه قاومه فى استماتة ، وقفز واقفًا على قدميه ، وهوى على فك (هيثم) بلكمة أكثر عنفًا ، دون أن ينبس ببنت شفة هذه المرة ..

وتراجع (هيثم) من عنف الضربة ، وتصاعد فى الوقت نفسه صوت البوق المميّز ، لسيارة القوات الخاصة ، فهتف فى حنق وألم :

ـ اللعنة .

ثم انتزع من حزامه جسمًا مستديرًا ، ألقاه فى منتصف الحجرة ، فانفجر بدوى مكتوم ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة ،

ملأت فراغ الحجرة ، وسعل (نور) فى شدة ، ثم شعر بالجسد نصف الآلى يندفع إلى جواره ، متجهًا إلى النافذة ، فاندفع خلفه ، هاتفًا فى حزم :

ـ لن تهرب هذه المرة .

تشبث بالجسد الآلى ، فى نفس اللحظة التى اشتعل فيها حزام الطيران ، وانطلق (هيثم) عبر النافذة إلى الخارج ، حاملاً جسد (نور) معه ..

وفى غضب هادر ، صاح (هيثم) :

ـ أخطأت بحق هذه المرة أيها الرائد .. إننى أستطيع انتزاعك عنوة ، بقوة الزى الآلى ، ثم ألقيك من هذا الارتفاع .

أمسك (نور) شعره فى قوة ، وهو يقول :

ـ حاول ، وسأنتزع رأسك معى .

صرخ (هيثم) :

ـ أنت وغد حقير .

كان ثقلهما معًا يجبره على الهبوط والانخفاض ، فضغط (هيثم) ذراعى (نور) بقبضتيه الآليتين ، وهو يقول فى ثورة :

ـ أتظننى أعجز عن انتزاعك عنوة؟

هوى (نور) على فكه بلكمتين عنيفتين ، وهو يقول :

ـ المؤكد أننى لن أقف ساكنًا ، فى انتظار هذا .

كانا قد انخفضا كثيرًا ، عندما انغرست الأصابع المعدنية فى ذراعى (نور) ، وأدمتهما ، وأجبرت (نور) على فتح أصابعه ، فانتزعه (هيثم) فى عنف ، وألقاه من ارتفاع ثلاثة أمتار ، وسط الأطلال القديمة ، خلف المستشفى ..

وسقط (نور) على قدميه ، وتدحرج وسط الصخور القديمة ، وشعر بآلام شديدة في جسده ، وبمرارة هائلة في حلقه ..

ولكن (هيثم) هبط على مقربة منه ..

كان يبحث عن خوذته وسط الأطلال ، في توتر وعصبية شديدين ، وهو يعلم أنه لن يستطيع صنع غيرها ، أو العثور على بديل لها ، بعد أن انكشف أمره ، وراح يقول في حدة :

ـ اللعنة !.. كل شيء فسد .. كل شيء ضاع بسبب ذلك الرائد .

قاوم (نور) آلامه ، وانقضَّ على (هيثم) مرة أخرى ، وهوى على فكه بلكمة عنيفة ، وهو يقول :

ـ لن أضيع هذه الفرصة أبدًا .

كان (هيثم) يحاول قتاله أيضًا ، ولكن (نور) استغلَّ كل مهاراته ومرونته هذه المرة ، وهو يوجِّه الضربات إلى (هيثم) ، ويتفادى ضرباته في الوقت ذاته ..

ولم يعد (هيثم) يستطيع الاحتمال ..

كان (نور) يوجِّه كل ضرباته إلى رأسه ..

إلى الجزء البشري منه ..

وإلى ضعفه ..

وأخيرًا تراجع (هيثم) ، والدماء تسيل من أنفه وفكه ، وقال في غضب :

ـ إذن فأنت ترفض إضاعة الفرصة .. ستحصل عليها إذن أيها الرائد .. ستحصل عليها كلها .

ثم ضغط أحد أزرار زيه المعدني ، مستطردًا :

ـ هأنذا أشعل القنبلة النووية .

هتف (نور) في ارتياع :

ـ يا إلهي !.. هل جننت؟

قهقه (هيثم) ضاحكًا في جنون ، وهو يقول :

ـ سمِّه انتحارًا ، أو جنونًا ، ولكن القنبلة اشتعلت بالفعل ، وبعد سبع دقائق بالضبط سيتحول جسدي إلى قنبلة نووية ، وينفجر ، لينسف معه (القاهرة الجديدة) كلها ، ولا توجد وسيلة واحدة لمنع هذا .

عاد يقهقه في جنون ، و(نور) يتطلع إليه في ارتياع مذعور ..

لقد اشتعلت القنبلة ..

وانتهى أمر (القاهرة الجديدة) ..

* * *

لم يكن هناك مجال للتردد ..

أو للتفكير ..

لم يعد من الممكن إيقاف الانفجار أو منعه ..

ستنفجر القنبلة النووية حتمًا ..

وبسرعة مذهلة عمل عقل (نور) ..

درس الموقف كله في لمح البصر ..

ثم اتخذ قراره ..

لم يكن القرار متوافقًا مع مبادئه وأفكاره ، وكراهيته للقتل والدمار ..

ولكنه كان حتميًا ..

وفي حزم وصرامة ، رفع (نور) مسدسه ، وصوبه إلى (هيثم) ، الذي قهقه في جنون ، وقال :

- لم يعد قتلي يفيد كثيرًا أيها الرائد .. القنبلة ستنفجر ، حتى بعد موتي .

ولكن (نور) أطلق الأشعة ..

لم يطلقها على وجه (هيثم) ، وإنما على حزامه ..

حزام الطيران ..

أطلقه على مجموعة أزرار التوجيه ، فأذابها دفعة واحدة ، وقال (هيثم) في توتر وانزعاج :

- لماذا فعلت هذا؟

اندفع (نور) نحوه ، وجذب ذراع الحزام ، وهو يقول :

- سامحني .. إنه الحل الوحيد .

اشتعل حزام الطيران ، وكسر (نور) الذراع في اللحظة نفسها ، فانطلق جسد (هيثم) إلى أعلى ، وهو يصرخ :

- ماذا فعلت؟

رد (نور) في ألم خافت :

- سامحني .

وبأقصى طاقته وسرعته ، راح حزام الطيران يدفع جسد (هيثم) إلى أعلى ، وهو يصرخ في جنون :

- لا .. لا .. ليس هذا من حقك .

حاول أن يغير اتجاهه ، ويعود إلى الأرض ، ولكن (نور) أفسد أزرار التوجيه ، وأصبح الحزام ينطلق بسرعة رهيبة بالفعل ..

واختنق (هيثم) مع السرعة والارتفاع ..

وهتف بآخر أنفاسه :

- ليس هذا من حقك .

ثم سقط رأسه داخل الجسم المعدني القوي ، الذي واصل انطلاقه بسرعة كبيرة ، مخترقًا الغلاف الجوي ، ومتجاوزًا إياه ، حتى بلغ الفضاء الخارجي ، و..

وهناك انفجرت القنبلة ..

لم يكن لانفجارها صوت مسموع ..

ولم تصل موجتها الارتجاجية إلى الأرض ..

لقد حجب الفراغ صوتها ، وتقلصت معه قوتها ، ولم يبق منها سوى ضوءها ..

ضوء قوي مبهر ، تألق في السماء لحظات ، وبدا أشبه بشمس صغيرة ، أضاءت نصف الكرة الأرضية قليلًا ، ثم راحت تتلاشى في بطء ، مخلفة سحابة كونية ذرية ، امتصها الفضاء تدريجيًا .. ومع تلاشيها تكونت حلقة من المشاعر ، في قلوب العديدين ، ممن رأوا ماحدث .. البعض شعر بالخوف ..

والبعض الآخر بالدهشة ..

(جيهان) شعرت بحزن لامثيل له ، وبدا لها هذا نهاية لحبها وقلبها وحياتها ..

القائد الأعلى والدكتور (ناظم) شعرا أن المشكلة قد انتهت ..

أما (نور) ..

و(نور) وحده ، فعلى الرغم من المرارة والحزن ، اللذين يملأن قلبه ، فقد كان يشعر أن هذا الانفجار يحمل فى أعماقه الحياة ..

حياة الأرض الجديدة ..

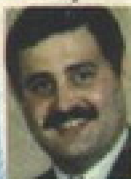
* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الانفجار الحي

● هل يواصل الآلي القاتل صراعه ويستكمل قوته ؟

● لماذا يفعل الآلي كل هذا ، وما الذي يسعى إليه بالضبط ؟

● ترى من يحسم الصراع ، (نور) وفريقه ، أم الآلي صاحب (الانفجار الحي) ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك مع (نور) وفريقه في حل اللغز ..

٨٨

الثمن في مصر
١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : البركان